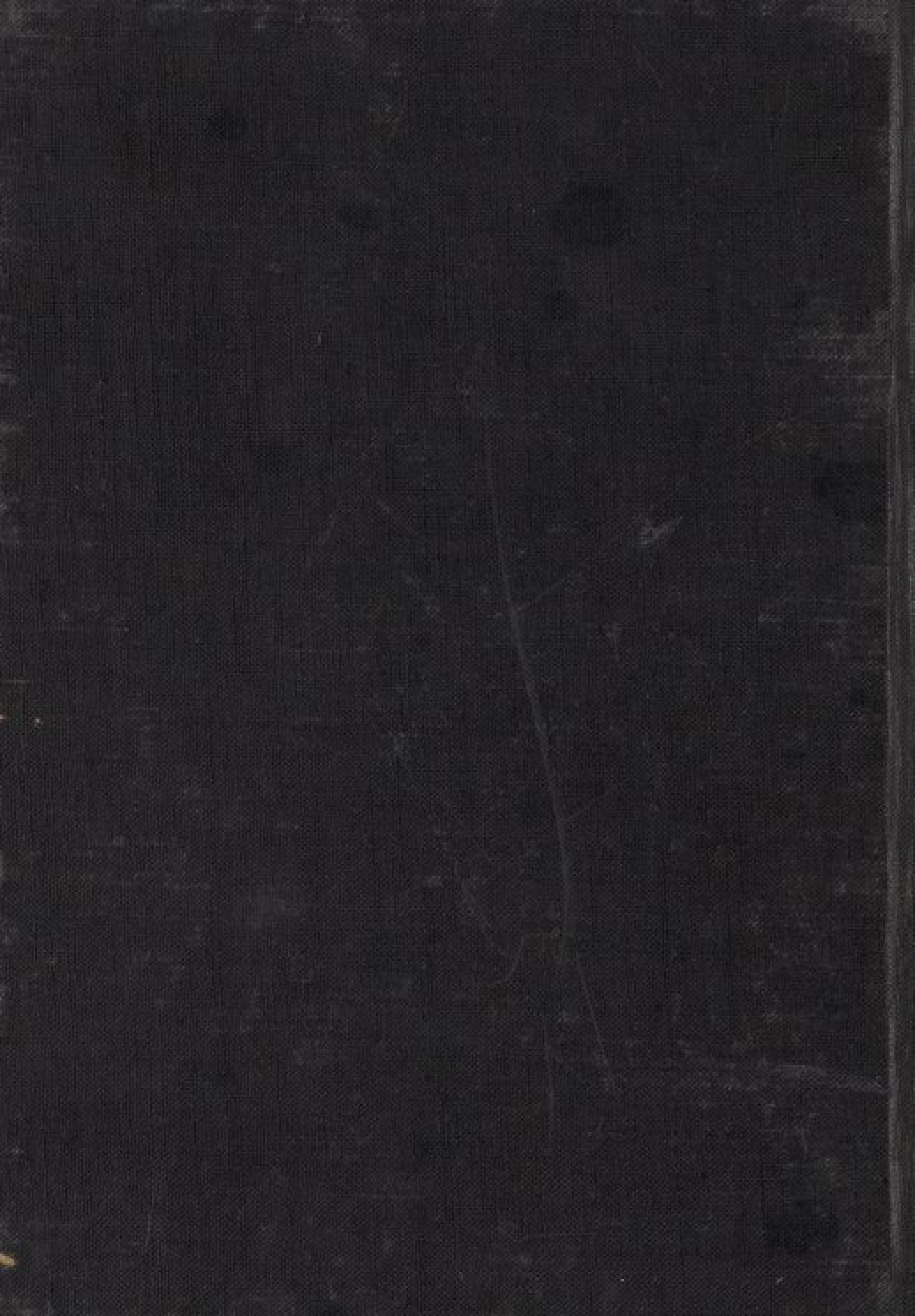






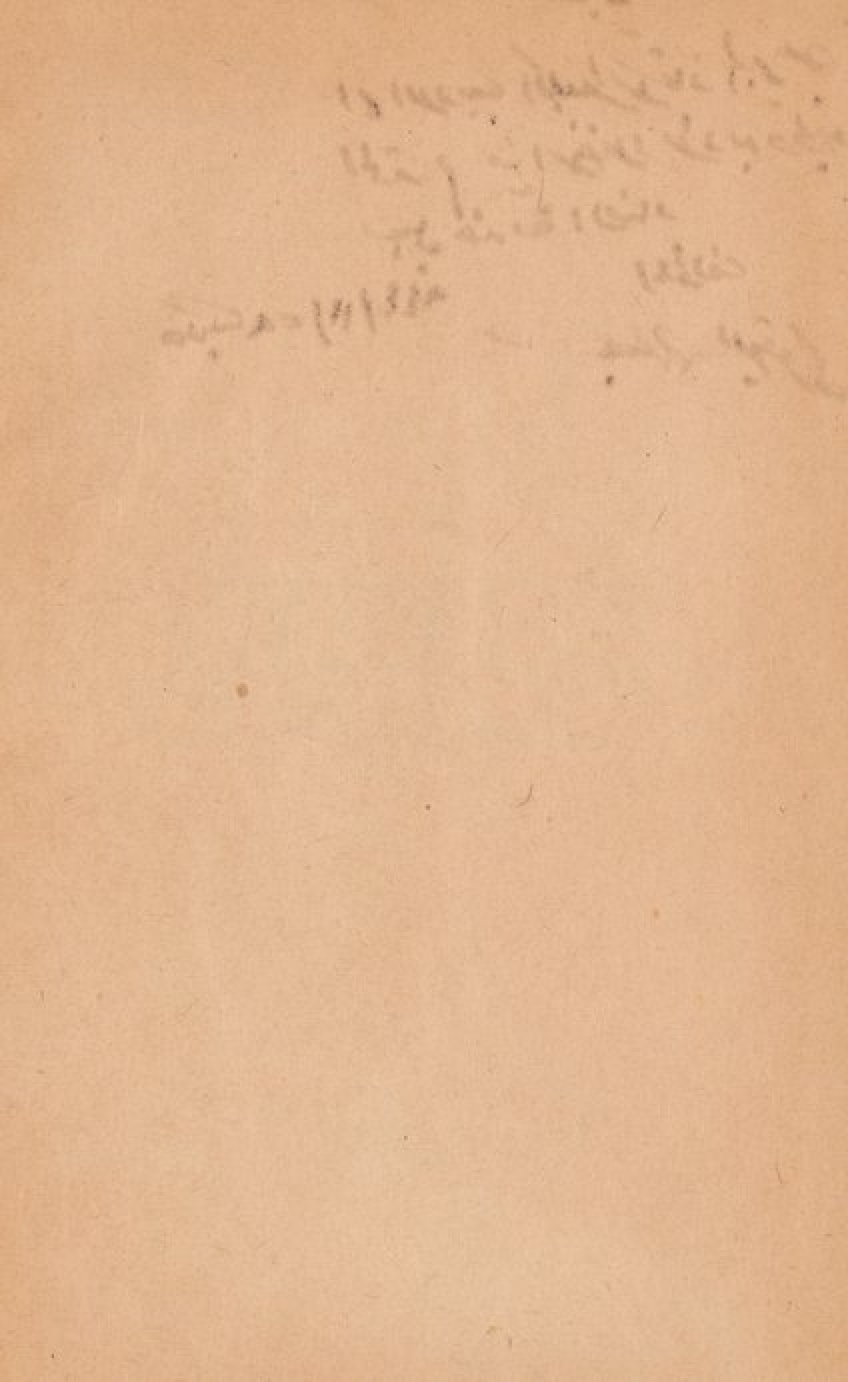
عبد الرحمن ابو قوس

[illegible]

الى الاديب الكبير الاستاذ [illegible]
المحترم مع اخلص [illegible]
سبيل خدمة الضاد
المؤلف
حلب ٢٩/١١/٩٤٤
[illegible]

رسالة الأديب

المطبعة العصرية ـ حـ



كتب عبد الرحمن ابو قوس

المنشورة

نورة العبيد	شعر	المطبعة المصرية ١٩٣٨
طلسم الحياة	نثر	المطبعة الوطنية ١٩٤١
باخوس	نثر	المطبعة المصرية ١٩٤٣
مركب الفكر	شعر	المطبعة المصرية ١٩٤٤
الرائد الادبي	نثر	مطبعة الشباب ١٩٤٤
رسالة الاديب	نثر	المطبعة المصرية ١٩٤٤

ويصدر قريبا

عشر سنوات في خدمة صاحبة الجلالة «الصحافة»

وهو مجموعة نوادر وحوادث مسلية جرت للمؤلف خلال قيامه بواجبه الصحفي في مدة عشر سنوات



الإهداء

إنه هديتي من الحياة . . .

فهل أجدر من الحياة به ؟ !

المؤلف



المقدمة

هذا كتاب !

لا اكتم القارىء اني احبه !

بل لا اكتمه اني تحملت في سبيل الفراغ منه ما لا استطيع وصفه !

هو مجموعة صادقة لنظرات مخلصة في هذا المجتمع الذي نحن غرقى لجحة !

هو صدى حسرات ليست غريبة عن اى ضمير ، هو حقيقة مكتوبة . .

بل هو اكثر من حقيقة مكتوبة ، لأنه حقيقة مكتوبة بدموع . . .

انا لا يُبكيني أقسى مشاهد الحياة ، ولكن دموعي تتفجر إذا انا شعرت بالاغلال تحول دون اندفاعي نحو ما اقدر ان احققه . . .

بهذه الدموع كتب هذا الكتاب . . .

وبهذه الدموع سينتهي كل قارئ لهذا الكتاب . .

وهذه الدموع لم تقف بعد الفراغ من هذا الكتاب . .

فان كتبا كثيرة يمكن ان تكتب بتلك المصارات

التي تصبها الروح فوق مثل هذه الوريقات ! . . .

. . .

ما أحقرني إذ افخر انني أضع كتاباً . . .

وما اصغرني إذ أتيه زهواً كلما رأيت كتابي في

عين قارئ يطالعه . . .

انني بهذا الفخر وهذا التيه اشعر بانتهاء مهمتي . .

لأن مهمة الكتاب ان يعكس ما في نفس الكاتب

فيطبعه على مخيلة القارئ ، او يحفره في اعماقه ! . . .

يا للأدب . . ما اكثر المفترين عليه من الادباء

إن الأدب الحقيقي لا يعرف النهاية . .

ولا الفراغ ... ولا الاكتفاء ...

الأدب الحقيقي الصادق

هو :

نبلة منطلقة من ضمير حي ومسددة بدهاء الى ضمائر متخدرة !

والأدب الحقيقي الصادق

هو :

صور صادقة لدينا مرض ابناؤها بالانانية فقام لها طبيبها الأديب !

فالويل للأدباء من الأدب

اولئك الذين جعلوه قرطاساً تتداوله الايدي ، أو صوراً تزين به المكاتب ، او شراكاً لاصطياد الالقاب الزائفة ، او قصصاً يقتل بها الوقت المهدور !

هؤلاء غداً عندما يصحو الضمير الانساني

الويل لهم من الأدب

لأنه :

سيحتفل بجنازة نتاجهم

وسيتحرر من تيجانهم اللماعة

وبصوت جهوري سيصيح بهم :

أيها الأدباء انتم بعض عوامل الانحطاط الاجتماعي،
لأنكم تحولتم في ذلك الادب المائع الى افيون يخدر
الضمير الهزيل !! . .

عماذا سيجيبون ؟

لست ادري . . .

ولكن الذي ادريه، بل اتكهنه ، انهم سيشتركون
مع يقظة الضمير الاجتماعي في حفلة النور التي ستقام
لتشييع جنازة آثرهم الهزيل !! . .

. . .

الذين ما زالوا غارقين في الأوابد . .

في القديم :

من الشعر ، والشعراء ،

والنثر ، والناثرين ،

والخلود ، والخالدين ،

والحكم ، والحاكمين ،

والأسس، والمؤسسين،

متى سيدرك كون ان الأوابد لا يمكن ان يرفع على اطلالها المندرسة بناء المجد الانساني المرتقب ، وان عدة الزمان الغابر قد استبدلت فما عادت تصلح لبناء كوخ من اكواخ الأرواح المتعطشة الى الخلق والابداع؟!

متى سيدرك كون ان البئر المهجورة التي عشش فيها نخرهم المتهرئ لم تعد صالحة لأرواء الجيل الصحيح الذي لا ارتواء له الا من بئر حفرته سواعده واحلامه ، وطموحه ، واهدافه .

بوركت ايها الجهل . .

انك محط قناعتي الى ان

تنبثق الانوار الجديدة من
مواطىء نعال المجددين، حيث
يتاح لك ان تشهد عرساً
لاحلامك لا يشوبها شيب
الارث ولا ارث التاريخ القديم

اما انتم يامن رضيتم من الحياة بلقب يرفع هذه
الرؤوس فوق منا كبكم . . . انتم خذوا حصتكم مما
استجديتم وانتحوا ناحية . . .

ليكن مستقركم على تيجان من ذهب

أو :

على قهقهات الدهر الساخر الشامت!

فان طريقنا غير طريقكم

لأن :

ينبوعنا غير ينبوعكم . . .

وان مستقرنا غير مستقركم

لأننا

لا نستجدي . . . وانما نفرض ما نريد .

. . .

اضحك . . . اضحك . . . ايها الاديب !

ان الضحايا من المنتحرين باندفاعهم ، ومن المنتحرين بغرورهم يفسحون المجال لرسالتك لتتسلل مع الفسق . وغداً ستحتل مقلة الشمس فتنير . . .

ايها الاديب :

انت الذي اتحدث عنك، لا اولئك الذين يفخرون بأنهم ادباء . . .

اكتشفتك ؛ عرفتك ؛ وها انا معلن عنك ؛ ناقلك الى اعماق الواعين ، بل ناقل بعض انوارك اليهم ، علهم بهداك يهتدون . . .

واين عثرت عليك ؟! . .

في الطين حيث أضل الكبرياء كثيراً من الجواهر . . .

أنا لست إياك الذي أصفك . . .

هيهات . . . هيهات ان اكونك . . .

ارضاك . . . ارضي آلامك . . . ارضى كل ماتعانيه من شقاوة وتعاسة ، في سبيل ان اكونك ، لان الدمعة التي اجرتها معرفتك اوحت الي هذه الوريقات . . . فلو كنتُك لما تركتُ لك وحدك المشعل الذي توقده منيراً طريقك الى نفسك ، بل لحملته فوق الرؤوس ، ونصبته فوق التيجان ، وتركت ناره تصبب لتحرق كل من لا يؤمن بك . . . بل كل من لا يسعى لتحقيق الغاية من ايمانك بنفسك . .

ايها الاديب :

انك لست اياك . . . انت اللحم والدم ، لست القلم والقرطاس . . .

انك صدى القهقهة المريضة التي ترسلها شماتة الشر

عنـدما ترى انوار مُثلكَ العليا تخبو فتنكسف شمس السعادة في دنياك

لهذا انت كنز عظيم اذا اكتُشفتَ . . .

قوة قاهرة اذا أشهرت . .

دين قويم اذا عُممت. . .

ناضل . . ناضل . . .

بجسدك الذي تنحره في ماخور دنياك . . .

فان روحك تتسلل مع الغسق لتحتل مقلة الشمس فتنير .

. . .

قارئي العزيز :

هـذا بعض ماهمستهُ معرفتي لهـذا الاديب اقدمه لا ككتاب

فما هذا الذي بين يديك كتاباً . . .

انه قبس من رسالة ذلك الاديب . .

وقد ضللت اذ قدمته اليك . . .

وقلت لك :

هذا كتاب . . .

٢٤/١٠/٩٤٤

١

كتابك الذي ارسلته الي قبل اسبوع الآن القيته من يدي !

إنه كتاب طريف !

اعجبني منه جلدك على كتابته من اجل انسان لا يعبأ كثيراً بمن يكتبون اليه !

كيف جمعت حواسك زهاء ساعة في شكلي، تتصورني هكذا كما لو كنت امامك ، لتكتب عني كل هذا الذي كتبته !

أتدري ؟! كتابك هذا اول كتاب قرأته !

حسن جداً عملك !

لقد اردت ان تصورني كما عرفتني فأهديتنيه انساناً جديداً ُخيل اليك انه انا ؟!

ليس هيناً ان تكتشف النفوس والارواح بهذه السهولة !

أظن انك عمدت الى الاسهاب في كتابك على الاطالة في البحث توقع الحقيقة ولو صدفة بين السطور .

انا مبشرك انك لم تحظ بالحقيقة حتى آخر حرف خططته !

ماذا تريد من هذا الكتاب المطول ؟! وفيم كتبته ؟! أكتبته لتحرك في شهوة الكتابة ؟!

انا ابغض ان ُيكتب اليّ ، لأنني ابغض ان اكتب الى الناس.

ان كل ذي روح كتاب من الطبيعة ، تؤلفه الشهوة ، وتطبعه الحياة ، وتنشره الأيام ، ثم تدرسه وتدرس ما فيه من حكم وجهل اكف الموت !

العاقل من اكتشف ما في كتابه قبل ان يكتب الى الموت !

قد تكون انت الموت يا من تدعي معرفتي وتكتب اليّ ، وانت تعرف فيّ سأم الخلوة بالاشخاص !

انا حتى اليوم لم افكر ان اتزوج ، بل لم افكر ان اجتمع بامرأة خوف ان يضطرني حبي لها لان اخلو بها بعض ساعات فيشغلني جمالها عن الطبيعة بكاملها ! فكيف تريدني ان أختلي بكتابك ، فأقرأه ، ثم بشخصك فأكتب اليك ؟ !

ومن أنت ، بل من هم كل الذين يحلمون مني بكتاب ؟!

مسكين انت ، لقد ظننت ان الذين يعتزلون بأرواحهم يمكن ان يشغلهم اشخاص عاديون مثلك !

كتابك شوّه جزءاً من روحي !

انت مجرم لأنك جعلتني افكر بك نصف ساعة !

نصف ساعة من الصفاء اتعلم كم تساوي ؟ . . .

انها تساوي انتاجاً صامتاً لا يعدله إنتاج

ارأيت كم انت مجرم بالنسبة إليّ!؟

لا . . . لا ايها الصديق!

لست انت الذي يستطيع ان يجتذبني بكلام منمق جميل!..

إن جميع ما ذكرته من الروابط الروحية التى اصبحت مقدسة ليست الا رمزاً لخيال . . . إن هذه الصفات، والنزعات، ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة لغنى النفس وسمو الروح!

الاخلاص الذي تدعيه لا يهمني كثيراً . . .

انك لولا حاجة لك عندي ما شعرت بهذا الاخلاص لشخصي!

اترى لولا انك ترغب بالكتابة اليّ أكنت تحتاج الى التحدث عن اخلاصك؟!

مالي ولاخلاصك؟

اني ما دمت في غنى عنك ، لا يهمني اخلاصك ، ولا يعجبني ما تعانيه من اجلي ! . . .

خذ عني الصورة التي تحبها ! . . بل صورني للناس كيفما شئت

اني لا اعيش لهؤلاء الناس الذين لا يعرفون الا الاجساد .

انا اعيش في عالم علوي لا اشعر فيه بكياني ، لانني لا اعيش هنالك لروحي التي تحدثني مسرفة ، واصغي اليها مسرفاً ، حتى يخالني من يشاهدني غارقاً في التأمل ، مجنوناً ذاهلاً عن حقائق الوجود ! . . .

تقول انك جدّ معجب باسلوبي في الحياة !

ما اسخفك ؟ !

ان اسخف الناس من يكذب على نفسه ! . . .

ان عزلتي في هذا الاندماج مع الناس تعجبك ؟ !

تقول انني اعيش بجسدي مع الناس كأني واحد منهم ،

واني اعتزل عن صحبهم بروحي كأني غريب عنهم ؟!

اترى سخفك ؟!

انك تكذب على نفسك كما قلت لك !

لأني انا . . انا الذي تتخيلني كما تقول ، لا يمكنني ان اكتب عن نفسي هذا الذي تقوله ... حتى ولو كان حقاً . . .

إنني أكاد اتبرم بوجودك ، لا بكتبك !

إنك متطفل على روحي . . . تتحدث عنها بلا استئذان ، ان روحي تريد اللجوء الى الهدوء . . . الى العزلة عن الذين عرفوها . . . علها تجهل انها موجودة . . . ان وجودها في خضم لجب من امثالك يعريها من سموها ، لهذا تتبرم بك وبامثالك ! . . .

اتركني . . . أهجر القلم ، اهجر القرطاس ، لا تكتب إلي لا تفكر بي... انني انسان اريد ان اعيش كما لو كنت ميتاً اشعر بوجود الجميع ، ولا يشعر بوجودي احد !

اعرفت ماذا اريد ؟ ! . . .

الذي يعجب بمثل هذه الحياة لا يزعج مالكها ! . . .

لا تزعجني باحاديثك ورسائلك ! . . .

اني اكره ان اقرأ . . .

اني اكره ان اسمع . . .

اني كدت اكره ان ارى . . .

لأن القراءة والسماع والنظر مبعث لاندماجي بهذه الحياة ، واستيحائي منها ! . . .

كل هذا حدود . . . ونفسي تبغض الحدود . . .

انس انك تعرف انساناً اسمه «انا» . . اهجر التفكير بي . . . واذا الحت ذاكرتك ان تذكرني . . . فاذكر ما تعرفه عني من سخف . . . من فوضى . . . من معايب . . .

عل هذه الصور تبغضك بي . . . فاستريح منك ! . . .

. . . لا . . . لا . . . لا يمكن ان اكون ذلك الهادي الذي يرشدك الى سعادتك . . . ولن اكون . . .

انني لو املك المشعل الذي يهديك الى سعادتك لأطفأته دونك . . .

لا تسلني لماذا . . . أنا أملُ ان اجيب . . .

لأنني احتقر نفسي إذ أكتشف الدواء واعجز عن تقديم العلاج . . .

لهذا يكفي ان تعرف انني ابغضك ! . .

لا لأنك أزعجتني . . . ولا لأنك حدثتني وارغمتني على الحديث ؛ بل لأنك واحد من هذه المجموعة التي تشعر بحاجتها الى مثلي ليملأ فراغ روحها . . .

ماذا تريد ان اقول لك بعد هذا كله . . .

ادركت دون شك انني لن احدثك ابداً بعد هذا وان كل ما ستلقيه بين يديّ من رسائل سيكون نصيبه الاهمال . . .

لله دركم ايها الناس . . . انكم لا تضنون بازعاج ايًا كان في سبيل قبسة من نور تحلمون ان تلوح لكم من

بين ثنايا من تزعجون . . .

انكم انانيون . . . حتى اذ تتخيلون انكم تعيشون للمثل الأعلى . . . لأنكم لا تقرون بوجود هذا المثل الأعلى الا حين تفتقرون اليه . . .

لن اودّعك . . . لأنه لا يهمني ان اراك ثانية . او اسمع اليك . . .

بل قد يهمني ان لا اراك ، وان لا اسمع اليك

على لا اقرأك . . .

ابداً . . .

ودائماً ابداً . . .

٢

تقول ان صراحتي اعجبتك في كتابي الاول . .

تباً لك ما اسخفك . . . إنني لم اكن صريحة معك . . .

انني كذبت عليك في كل ما قلته . . .

تحدثني نفسي انك اوقح مما تصورتك

فأنت اذ تدعي انني صارحتك لا تمنع نفسك عن ان تزعجني بما صارحتك كراهيتي له . . .

فيم تكتب إلي ؟ ! . .

أتظنني لا اعبأ بالوقت ؟ !

انكم خاطئون جداً اذ تحسبون وقت الادباء لا

قيمة له ! . . .

انك تدعوني لأن اقرأ كتابك في اوقات الضجر ، حيث امل التأمل والاسترسال في الاحلام ؟ !

ما اجهلك . . . لو لم تقل هذا لظننتك تشعر شعور الأدباء ولو قليلاً . . .

إن الادباء لا يملكون حتى حق التصرف بأوقات ضجرهم . . .

انهم اذ يسترسلون الى النوم تتحرك بهم عقولهم الباطنية فتعمل بلا كلل ، واذ يسترسلون الى التأمل تشتغل عنهم احلامهم ، وافكارهم . . . واذ يملون ويضجرون تعمد آلامهم على جمع الصور المؤلمة التي تكون لهم وحي ما بعد الضجر والسآمة . . .

ارأيت ان كتبك السخيفة لا وقت لها في حياة الادباء ؟ !

انها عندي الآن كهذه الوجوه الدميمة التي تشوه

الرصيف المرصع بالجمال الساحر الفتان .

لا درّ درك ايها الانسان العجيب . . .

إنك لا تعلّ ان تزعج مثلي . . .

والآن . . . بعد ان اوثقت باغلالك ، واصبحت احبك محبة ابن المعتز للقبيح . ماذا تريدني ان افعل بك . . .

أأكتب اليك كل يوم ؟ ! . . .

هذه جناية بالنسبة إلي . . .

لو انني كتبت اليك ، وقرأت لك كلما شئت انت ، ماذا أنتظر ان احصل من فائدة ؟ !

إننا معاشر الادباء لسنا ماديين نسعى وراء المال ، ولكننا نسعى وراء الهدف الروحي !

ان كل خطوة من خطواتنا تستهدف غاية معينة من الغايات التي تكوّن المثل الأعلى .

فما هي الغاية التي تريدني ان اشعر بها في الكتابة إليك .

هذه الروابط الروحية التي تحدثني عنها ، ليست

روابط تستحق ان تكون شاغلاً لأديب ! . . .

ان الاشخاص ليسوا اكثر من صور تمر امام العيون ، ولكنها لن تدخل القلوب ، ولن تشغل العقول .

إن رؤوس الادباء يسكنها كل شيء طاهر او قذر ، من الاعمال ، ولكن يجب ان تثق جيداً ان ليس فيها سرير واحد ، لانسان واحد ! . . .

ان الادباء دائماً يلجأون الى عمليات الصهر ، هم يحولون كل وجه الى فكرة ! وكل جسد الى رأي ! ثم يعملون زناد عقولهم لاستخراج الدواء الشافي .

انهم يلقون بالعلاجات كما يلقي البستاني بذرة الكينا ولا يعرف اي مريض سيتناولها فيشفى .

هكذا نحن لا نهتم للاجساد ، ولا للاشخاص ، لأننا لا نعيش لهم !

ان غاية حياتنا عملنا المستمر ، لا المستفيدين من عملنا المستمر !

لأننا سنعمل ، سواء أفدنا ام لم نفد ! . . .

فلابد من يوم تشعر الحقيقة فيه اننا ساهمنا في ازاحة الستر عنها ! . . .

انك تدعي ان حياتي تشبه الأدب الرمزي ! . . .

لها صورة الجسد (الالفاظ) ولها صورة الخفاء (الروح) .

انك تقول ان ابتسامتي لا تدل على الابتسامة ، وسخريتي لا تدل على الازدراء ، وغضبي لا يدل على المقدمة وفرحي لا يدل على الغبطة ! . . .

يظهر انك عرفتني بعض الشيء

ربما كانت انقلابات عاداتي هي التي اوحت اليك بعض حقائقي !

نعم ! . . . انت تراني دائما امتدح من ابغض ، وانتقد من احب ! . . .

هذه ظواهر أوحت اليك ما قلته عني !

إنك اجدت الوصف ، كالرسام ! ولكنك لم تحسن

المعرفة كالفيلسوف !...

انني كلما حاولت ان ارفض السماع ازداد حباً بذلك!
أرى كيف ان السخافات لها مكان من ارواح الادباء
ليست سخافة ان اقرأ اليك، بل السخافة ان اكتب
من اجلك. انت الذي تريدني أن اعتقد بنفسي كما تصورها
أنت!...

ان الادباء لا وصف لهم يوصفون!

هم دون الوصف وفوق الوصف! لهذا يستحسن
اهمالهم، والعناية بما يلقونه من كلام!...

انك كما تعجب بي!... هكذا... حراً طليقاً
من تقاليد المجتمع، لا يهمني مديح ولا نقد، ولا يزعجني
حب ولا بغض، ولا يغريني منح او حرمان، ولا يشجعني
اقبال او اعراض، هكذا كذلك اعجب انا بهؤلاء الناس
الذين يهمهم كل ذلك لأنهم جماعة لا يعملون ليكوّنوا
لأرواحهم فراغاً في اعماق الناس! بل يعملون ليكوّنوا

اجساداً ضخمة المظاهر لها مقاعد فوق الرؤوس .

ان ما يعجبك فيّ ، ليس صعباً مراسه ، او تعوده !

ولكن ما يعجبني بكم هو الصعب كل الصعب ! . . .

قد تكون متطلبات البقاء هي نفسها الاعمال التى تربط الانسان بالانسان .

ولكن البقاء ليس غاية . . . بل لم يعد غاية بعد ان رقى الانسان واصبح محباً للاستقلال . .

ان الحرية اقوى على البقاء .

اما الروابط فهي التى تتحول الى معول مهدم ! . .

انا لا ادعوك الى ترك الناس ! . . .

صعب جداً ان تترك الناس وتعيش كالزاهد وحدك .

لا يزهد الانسان عن الناس الا اذا جن ! . . .

ولكن اعقل الناس هو الذي يستقل بنفسه عنهم وهو في خضمهم . . .

أشعر انك شخصان ! . . .

شخص يعيش ليأكل . . . وشخص يأكل ليعيش !

انك منذ ان تشعر هـذا الشعور تجد آفاقاً جديدة تتسع لروحك التى ضاقت بها الآفاق !

لأنك تتحول الى طبيب سليم . . . يحس بألم سواه فيلقح نفسه بعين الداء ! . . .

ارأيت ماهي الغاية من خلق الشخصيتين للشخص الواحد.

لو انك عرفت هـذا بنفسك دون ان اقوله لك لما اعجبت بحياتي ، بل لرأيتها حالاً طبيعية لا تجدر بالتفكير والثناء ! . . .

بل لكنت طويت قرطاسك وحطمت قلمك . ومسحت بكفيك كل رسم لي يصوره خيالك ! . . .

لأنه من الخطأ ان اشغلك ! . . .

انا الذي لا يفيدك ان تعرف كيف اعيش ، وكيف افكر ، ولماذا اعيش . ولماذا افكر! . . .

لأنك ان عرفت ذلك فلا يعقل ان تستطيعه مثلي!...

ان دراسة الاشخاص لا يقصد بها تقليدها ! بل معرفة الخطأ من الصواب للعظة والاسترشاد ! . . .

يمكنك ان تعرف كل الناس . . . وانت لا تعرف احداً . . .

يمكنك ان تدرس كل الناس . . . وانت لا تجالس احداً . . .

ويمكنك ان تكون لنفسك شخصية تشغل كل الناس وانت لا تشعر بوجود أحد ! . . .

لأجل ان تكون كذلك لا تقل لأحد انت هكذا وانا اعرف عنك كذا . . وكذا . . . لأن الذي تعرفه عن الذي تحدثه ليس الا يسيراً مما يعرفه هو عن نفسه ! . . .

وما يعجبك فيه ، قد يكون هو نفسه الذي ينغص عليه حياته ! . . ،

فلا تكن جاهلاً . . . ولا تكن شامتاً ! . . .

كن غريباً فان الغربة خير بواعث العطف والاشفاق !...

ان الذي يعيش غريباً لا يحتاج الى الاخلاص ، هذا الاخلاص الذي يستولي به الانسان على مصلحته من سواه !... بل يحتاج الى العزلة !...

هذه العزلة التي تفكك كل الروابط ، وتخلق رابطة اشمل من الاخلاص واعم من المحبة !

ان العزلة معناها محبة الجميع ، والاخلاص للجميع ، دون عهد او ميثاق تغطى بهما النفعية .

ارأيت كيف استطعت ان اقول لك انك تصرف وقتك سدى في الكتابة لي...

إنني أقلبك بين كفيّ مراراً كلما اخذت كتابك ، فلا اجد الا المصلحة مكوّنة لجسدك ، هذه المصلحة التي تلقيك بين يديّ ، كما يلقي الخوفُ الايمانَ في قلب البائسين !

انك لو كنت قويا لاستغنيت عني ! . . .

من أنا فاهديك الى الحقيقة ! . . .

ان الحقيقةاشغلت الخليقةولم تبرهن على وجودها !. .

انها موجودة ولـكن ليس من مصلحة احد ان يقر بوجودها ! . . .

حتى نحن الذين نعتزل ـ كما تقول ـ لا نستطيع ان نقر بوجودها دائما . . .

لأن هذا الاقرار يبعدنا عن الدنيا التي جعلناها غاية عزلتنا .

والعاقل من لم يقم دون مسماه الحواجز . . .

اترك القلم الذي بين يديك الآن، فانني اتخيلك وانت تكتب إليّ جوابا قبل ان تقرأ ما اكتب اليك .

سيان عندي اكان خيـالي صادقا ام كاذبا ، لأنني لا اجد فيما تكتبه من اجلي إلا خيالات الحلمان . . .

اظنك تشفق بي ، وبنفسك ، فتريحني وتستريح ؟!

اما أنت فلك ان تقرر ما تريد . . .

واما أنا فقد خصصت رسائلك بزاوية من زوايا سلة المهملات . . .

ان كل ما قلته لك لم أقله الا لأنتهي الى ذكر هذه السلة :

أتراك ادركت ما اريد ؟! . . .

٣

هذا فتح جديد لك !

كأنك تحلم ان اقطع كل صلة لي بالناس ، والكتب، ونفسي، لأجعل مني انساناً موقوفاً على رغائبك!

ماذا تطلب مني ؟ !

ان ادون لك تاريخ حياتي منذ نشأتي حتى الآن؟ !

وماذا يفيدك ان تعرف عني كل هذا ؟

ان حياتي ليست اكثر من سراج اوقدته شهوتا والديّ ، وسيظل متقداً الى ان ينفخ فيه فم الموت فينطفئ . . .

وان حياتي ليست اكثر من مسرح مثلت عليه

الايام ادوارها ، وستظل تمثل الى ان يسدل الستار عن الفصل الأخير من روايتها التى لا تنتهي الا لتبتدئ ..

وان كلماتي ليست اكثر من هدير ماء ينتهي عند المصب . . .

تقول اني افدت في حياتي !

ماذا عسى يفيد الاديب اكثر من افادة الجدول للظمئى ؟

ان هذه التجارب التي مرت بي ، او مررت بها ، ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة لسواي ، لأنها كونتني ، وقد تعجز ان تكون انساناً مثلي من بعدي ! لأنها قد تعجز هي نفسها عن اعادة ما مثلته على مسرح حياتي !

تقول ايضاً ، قليلون هم الذين تجدر حياتهم بالخلود !

ما هو هذا الخلود الذي تريده للحياة على القرطاس!

ان اكثر الذين يقرأون لا يكتشفون بين السطور الا ابتسامات ، او احتقاراً لمن يقرأون عنهم .

اما الذين يجدون الهدف من الكتابة، فهم قليلون . .

انت تريدني ان اكتب لهؤلاء القليلين . . .

وماذا استطيع ان افيد هؤلاء القليلين . . .

يجب ان تثق ان احداً لا يستطيع ان يفهمك كما انت الا اذا كان يعاني ما تعانيه ! . . .

وهؤلاء لا يجدرون بالكتابة اليهم . . .

لأنهم يملكون الينبوع الذي تنضح منه فكرتك...

وبايديهم القلم الذي ترسم به حياتك . . .

وفي اعماقهم المحطات التي تريد بها ان تملك خلودك !

فهم لا يعبأون بك . . لأن لهم شاغلاً عنك !...

وهم لا يجدرون بالكتابة من اجلهم . . لأنهم يعرفون ما ستكتبه من اجلهم ! . . .

او هم على الأقل . . . محط الشفقة التي تضن ان تثير الذكرى، وتبعث الآلام . . .

القراء اثنان : واحد يعرفك ، هذا شأنه .

وواحد لا يستطيع ان يعرفك ، فان كتبت اليه كنت كمن وضع نفسه بين يدي جلاد . . .

اتريدني ان اسلم وجهي لرسام طفل فيصورني كالقرد أم ان اضع حياتي بين يدي (صنولي) فأثير فيه كوامن آلامه ؟ !

اني لهذا اتساءل كثيراً عن السبب في كتابة المذكرات واحسب الذين يكتبونها انانيين ، يؤمنون بأنفسهم ولا يؤمنون بأثرهم وتأثيرهم ! لهذا يريدون ان يفرضوا الاقرار بوجودهم على الذكرى . . .

انا لا يهمني ان تحتويني الحياة ، سيان عندي أكان الخلود نصيبي او الفناء . . . كل ما يهمني ان اعيش فكرة في الرؤوس ، اهدي بلا انوار واتكلم بلا لسان ، وازعج الباطل بحياة لا يستطيع ان يثير حولها الشبهات . . .

الذين يكتبون انفسهم يثيرون في اعماقهم ذكريات لولا خطورتها لما صمدت امام تيار الفناء ! . . .

هؤلاء عندما يكتبون يجددون تلك الآلام . . .
كأنهم اذ يتخيلونها يعيشونها ثانية . . .
تصوَّر اي ألم يقاسونه في تحمل كل هذه الآلام
دفعة واحدة ، ليخرجوا منها كلاماً قد لا يشغل اكثر
من صفحات . . .
ولأي شيء يكتبون ؟ !
للعظة ؟ !
ماذا يفيدني ان يتعظ بحياتي اناس لم يعبأوا
بوجودي ؟ ! . .
هل يصلح للعظة من كلما رآني صبغني بالاحتقار ؟
انك تقول ان الصالح لا يندثر !
ولكن هل تستطيع ان تخرج للناس بالصالح ليعطوك
الخلود المأمول ؟ !
لم أذهب بك بعيداً جداً بالتشبيه . . لنعد الى قلب
سؤالك ! . . .

الم تقل ان حياتي عظة بليغة ؟ ! . . .

اتراها تكون عظة لولا ما فيها من الم ؟ ! . . .

لم تريد ان تتحمل العقول عصارة هذا الالم في كلام وان تحتقره في الواقع ؟ ! . . .

أكنت انساناً لا اوحي فكرة يوم حملت هـذه الآلام في حياتي ؟ ! . . .

اذا كنت كذلك . . . كيف استطيع ان اخرج بفكرة جميلة للناس ؟! . . .

انا لا اريد ان اكتب حياتي ،

ان حياتي سلسلة من ظلام . . .

انا لا اخجل ان اظل في الظلام ، وان اسد بكفي اية ثغرة ترشد النور الى ظلماتي . . .

لأن الظلام اكثر ايحاءً

ان ظلام النفوس هو الذي يخلق العبقريات ؟ !

ليس ثمة من انسان عظيم في الارض استطاع ان يكون

عظيماً قبل ان يشبع من الألم! . . .

كذلك ليس ثمة من انسان عظيم في الأرض استطاع ان يظل عظيماً بعد ان افرغ كل ما في نفسه من الم !

لاجل ان تصل الى ما تريد يجب ان تكتم ما تعاني! . . .

الألم غذاء عظيم لا اضن بوصف عظمته ولكنني اضن بافراغه لك . . .

لأنني لم اشبع من الألم،

بل لأنني لم ابلغ غايتي من تحمل الألم

لا استطيع ان اكتب المي ! . . .

ان المي جناحي . . . فاذا افرغته . . . كيف اطير الى ما استهدف ؟ ! . . .

لن أغذيك قبل ان أرتوي ! . . .

لهذا لن اكتب مذكراتي . . .

ولهذا يجدر بك ان تطوي املك بآثارتي للكتابة !...

ان مذكراتي لا شك جميلة ! . .

جميلة لي انا . . .

اني سابح بها . . . مستشهد بانوارهـا . . . لا اسير خطوة قبل ان ارجع اليها خطوات . .

انها مذكرات اديب . . . اراد كل شيء ولم يبلغ شيئاً مما اراد . . .

انها جميلة لي . . .

وقد تكون جميلة لك . . .

جميلة لي لأنها مشعلي نحو ما اريد . . .

وجميلة لك . . . لأنها معرفة لمحاولات انسان مثلي . . .

اني قلت لك في رسالتي السابقـة اني اعيش في جو العزلة . . .

هذه العزلة هي ألمي . . .

هل اترك ألمي لاقول لك من انا ؟ ! . . .

وهل يرضيني ان لا يعرفني الناس كما انا ؛ قبل ان يتعودوا تحمل حياتي كما انا ؟ !

اني شيء يجب ان لا يعرف الآن . . .

ان كتمت اسراري . . . ستتولى الايام كشفها . . .

لهذا لن اكتب . . .

لأنني ان كتبت اغنيت الأيام جهد البحث عني . . . .

ومن اجل من سأكتب ؟ ! . . .

انني انسان اصبحت اومن بوجودي ! . . .

اصبحت اومن بنفسي . . .

هذه النفس التي ستفرض على الحياة !

ومتى تتحمل الحياة النفوس التي لم تهيئها للخلود ؟!..

ان الحياة لا تتحمل هذه النفوس إلا اذا شعرت انها محتقرة عند اصحابها . .

ان احتقاري للحياة لا يحببني بالموت . . . .

جبناء هم الذين يهربون من الحياة !...

الحياة امرأة ! .. علكها كل الذين يكتشفون اسرارها ! . .

ان اسرار الحياة ابناؤها . . .

اكثر الناس تكالباً على الاندماج بالناس ابعدهم عن امتلاك الحياة ! . . .

لا يبلغ الخلود الا الذي آمن بشخصيته ، وتمكن من الاستغناء عن المحيط الذي هو فيه ، دون ان يزعج ابناءه بعزلته عنهم ! . . .

انى الآن في العزلة ! . . .

لهذا لن اكتب اليك ما تحب اليّ كتابته ! . . .

ولذا يجب عليك ان لا تزعجني في خلوتي . . .

اكتم ما في نفسك . . .

لا تكتب إلي بعد الآن . . .

ان كتابتك هي الازعاج لي في خلوتي . . .

ان كتبت اليّ بعد الآن سأعلن سخطي عليك . .

بل احتقاري لك . . . .

سيكون احتقاري من نوع جديد ! . . . .

هو السكوت . . .

٤

انت انسان عجيب دون شك !

لعلك اشبه بزير النساء الذي خبر مواطن الضعف في المرأة ، ومرن اساليب اثارة شهوتها ، واقتناص عطفها واستسلامها ! . . .

هل الادباء الا نساء اذا اختلطوا ! بالمجموعة البشرية !

ان فيهم مواطن جمال وجاذبية . . . مثل النساء . . .

وانهم يهمهم كثيراً ان يتحدث الناس اليهم عن مواطن هذا الجمال ، وهذه الجاذبية . . . مثل النساء . . .

انهم يسكرون بهذا الحديث . . . ويضعفون . . . حتى يستسلمون لمن يتحدث اليهم فيه . . . فيصبحون

مطية لفكرته . . . ورأيه . . . ورغائبه . . . وشهواته . . .
مثل النساء . . . مثل النساء . . .

اتظنّ لولا هذا الضعف في الادباء أيستطيع احد
من الناس ان يشغلهم دقيقة بنفسه ؟ !

ان ادب المديح والهجاء ليس الا من مخلفات هذا
الضعف في الادباء ! . . .

ارأيت ناحية العجب من حياتك ؟! . . .
لعلك الوحيد الذي اكتشف اساليب اغرائي بالكلام !

انت لو كتبت إليّ تسألني عن اي شيء ، طلباً لأي
فائدة لن يكون جوابك الا السكوت . . .

ذلك السكوت الذي تهددتك ان احتقرك به ! . . .
ولكنك لم تفعل . . .

ولست ادري لماذا لم تفعل . . . أكان ذكاء منك او
طبيعة . . ذلك لا يهمني . . . الأمر الذي اجابهه الآن
انك تمكنت من اللعب بي . . . من اقتناصي . . . من

جلبي الى المنضدة لأكتب من اجلك ... وهل اقوى على اقتناص الارادة من حديث الطفولة ! ...

ان ذكريات الطفولة لو رافقت الانسان في كل اعماله لما شعر بالشيخوخة ! ...

وان اقوى عامل يدفع الانسان الى السباحة في ماضيه هو هذه الذكريات ...

تذكرني يوم كنت هزيلاً ... رث الثياب ... صامتاً هادئاً ... لا تعلو الابتسامة شفتي حتى في الاعياد ؟! ...

لله درك ... كم انت واسع الخيال، قوي الذاكرة حسن الابداع للرسم والنحت والتصوير ! ...

لا اشك ابداً اني كنت كذلك ...

وربما افدتك ... اذا كنت تستهدف شيئاً من هذه الذكريات ... إن اضفت الى ما قلته اني كنت متهدل شعر الرأس حتى الأذنين ، طويل الاظافر

كالانسان الأول . . . لا يخلو اسبوع من معركة لاهبة
بيني وبين ذوي من اجل زيارة المزين . . . او اخذ
المقراضين لتقليم الاظافر ! . . .

هكذا ايضاً كنتُ . . . لا كما قلتَ فقط ! . . .

تقول أنت ان هذا مصدره اللامبالاة التي هي اولى
غرائز الادباء ! . . .

هذا عذر للقذرين اربأ بنفسي ان انتحله . . .

ان الذي طهرت روحه، ونقيت نفسه، لا يرضى
مظاهر القذارة . . . والبشاعة ! . . .

فكرت طويلاً لماذا كنت هكذا ايام طفولتي ! . .
لم يكن يشغلني عن النظافة حب للعب، فأنا كما قلت
انت . . . بعيد عن جلبة الاطفال . . .

لم اشترك في يوم معهم . . . ولا كنت بينهم إذ
كانوا يحفرون الارض باظافرهم ليلعبوا بالكل والكعب! . . .
بل كنت مشاهداً بين المشاهدين ! . . .

اذن من اين لي هذه القذارة . . . وكيف تسرب الى نفسي هذا الاهمال ؟! . . .

لم اكن احمل فكرة . . . لأن ليس غير الافكار شاغل للادباء عن اجسادهم . . .

ولم اكن اديباً . . . لأن ليس غير الادب مفرق بين الانسان وشهواته ! . . .

اذن علام كنت كما كنت ؟! . . .

حقيقة انت عجيب !

ارأيت كيف استطعت ان تشغلني بنفسي ! . . .

ان امراً تافهاً كالقذارة يحيرني الآن . . . ومتى يحيرني؟!...في الآن الذي اصبحت لا اعتقد ان للمظاهر اي أثر في الحكم على البواطن ! . . .

ولكن هذا الانفصال بين الظاهر والباطن في تأثيرهما لتكوين النفس لا يمنع ان يكون لحالهما سبباً .

مخطئ أنت اذ قلت ان الاطفال لا يجدرون

بالاكتراث . . . لأنهم يعملون غير مندفعين .

لا . . . الاطفال هم الذين يندفعون . . . ويندفعون بتأثيرات اسمى من اندفاعات الرجال ! . . .

واندفاعاتهم هي التي تكوّن لهم ارواحهم وشخصياتهم لأن الارواح والشخصيات ليست الا اجساد الذكريات ! . . .

ارأيت اي أثر للطفولة في تكوين الانسان ؟

اذن علام كنتُ كما كنت ؟ ! . . .

وماهو الاندفاع الذي جعلني كما كنت ؟

ترى لو كان في الحي حديقة اكنت العب فيها ، واختلي باشجارها وازهارها ، وارقص في مياهها ، واسمر مع نجومها واقمارها ؟ ! . . .

فاضطر ان اقلم اظافري كما يقلم البستاني الغصون ، او لو كان شارع الحي معبداً . . . مرصوفاً بالاسفلت ، يغسل كل يوم بالماء ، وتسقى اشجاره المغروسة على رصيفيه ،

أكنت ألبس هذا الثوب الرث القذر، الذي كلما غسلته وعنيت بنظافته اعاده غبار الشارع، ومصارعة الاطفال، ولمس الاقران الى ما كان عليه من رثاثة وقذارة؟!...

وشعري الطويل المتهدل الى اذني. اترى لو كان اطفال الحي وبناته، يلعبون في الحديقة ويترامون على العشب الاخضر، ويسوقون العجلات الصغيرة على الارصفة المتعرجة فيها، أأستطيع ان اظهر بهذا الشكل المقزز للنفوس؟

ان الاطفال مثل الرجال.. يعيشون للمحيط الذي يضمهم.. بل هم اصدق اتصالا بالمحيط؟ فهل ذكرت... وانت الذي تذكرني دائما.. يوم وقف احمد نجل الباشا الذي تترامى عند اقدامه رؤوس اهل الحي، وبصق على ثوبي.. وطردني من قصره لأني كما انا؟!..

انه طفل مثلنا!.. ولكنه غني؟!..

ان الاغنياء لا يتفلون على الفقراء.. وان كانوا

يكيلون لهم من العذاب ماهو اشد مضاضة من التفل ..

ولكن الاطفال اصدق من الرجال .. . لأنهم لا يعرفون اساليب اولئك ، فيصرحون بما في اعماقهم باعمالهم ... لا بأرواحهم ... وعقولهم ! . . .

ان التفاخر بالأثواب عند الاطفال .. . كالتفاخر بالجاه والسلطان ، والمال عند الرجال . .

هذا شيء طبيعي ...

ولكن اتذكر ماذا قلت لذلك الطفل يوم تفل علي ؟ !

انت لا تستطيع ان تذكر ذلك . . .

الحكمة آخر مايذكره الانسان المتخوم بالاكتفاء...

والألم آخر ما ينساه الانسان الذي لم يفرغ من استثمار ألمه ! . . .

لقد قلت له :

عد الى ابيك . . . هذا الذي ترتديه ثوبه لاثوبك . . .

ان خير ما افخر به هو انني انسج من المي ثوبي المغري

الذي سأرتديه بعد هذا الثوب المقرف ، اما انت فستظل

ترتدي من مخلفات والدك . . .

انت تفخر بان تلبس ما تعب غيرك في نسجه ،

فتتفل على العراة ، اما انا فافخر بالعرى . . . واتفل على

المتبهرجين بالثياب المسروقة باسم الارث . . .

الحقيقة ان كل ما في طفولتي كان لي . . .

من صنعي انا . . . ليس لوالدي اي اثر فيه . . .

كل الاطفال صورة صادقة عن آبائهم الا اياي ! . .

لو ان كل حقيقة يجب ان نرجعها للواقع الملموس

لنتمكن من اقرار وجودها ، لانكرت وجود اب لي . . .

لأنني لم المس هذه الحقيقة الواقعة ! . . .

لقد كنت يتيماً لا اب لي . . .

ان احد جناحي العطف والعناية اللذين يطير بهما

مظهر الطفل . فقدته وانا في رحم والدتي ! . . .

لقد تركت الى امرأة ! . . .

انا لا استطيع ان اقول لوالدتي اكثر مما يقوله المعترف بالجميل لمن احسن اليه . . .

انهـا امرأة . . ، وبهذا حافز الى العفو عن كل خطيئاتها . . . وامرأة شرقية بل امرأة شرقية ومسلمة!..

لا اقصد ان احتقر النساء ! . . .

من ذا يحتقر النساء وامه ، واختـه ، وزوجه ، وابنته منهن ؟! . . .

ولكنني اقصد ان احتقر السجن الذي سجنّ فيه !

واقصد ان احتقر ارواحهن التي اصبحت سجناً ثانياً . . .

ان المرأة لا تفرز نفسها من القذارة الا في الشباب ، والرجال . . . والنساء ! . . .

في الشباب لأنها تشوه جمالهم ، وتخفي مغرياتهم ، ومثيرات الشهوة فيهن . . .

وفي الرجال لأنها تجعلهم كالزاهدين الذين لا يعترفون

بوجود الجمال واللذة! ولا يقرون بسحر النساء، وضرورة
التجمل من اجلهن!...

وفي النساء.. لان القذارة فيهن توحي الى سواهن
الاعتداد بالنفس، والشعور بالتفوق!...

اما الاطفـال ... فهم لا يوحون شيئاً ... بل
يشغلون عن اشياء...

لهذا لا يذكر بوجودهم الا الآباء!...

ارأيت كم هو صعب اليتم ؟!...

ان الآباء علاج.. بل غذاء... بل بذرة التكون
الاجتماعي في الاطفال...

لأول مرة... يوم تقل على ثوبي هذا الطفل الثري...
شعرت اني عاجز بين العاجزين... أن احد جناحي
مهشم!...

لقد بكيت!... ذرفت دموعي!...

شعرت بالانخزال! .. كل هذا حقائق اذكرها

حتى الآن . . .

واذكر معها انني لم اكن اترك ساحات اللعب مع الاطفال زهداً مني باللعب، ولا ميلاً الى الخلوة، والتفكير، كما انا الآن . . .

لا . . . ان ما كان يشغلني عن ذلك . . . الفقر !...

من اين اجيء بثمن الكل ؟ . . .

لقد قال لي طفل مرة لماذا لا تلعب بالكعب اتدري بماذا اجبته ؟ ! . . .

آه . . ما اشقاي بك ايها الصديق . . . لقد حركت في كل ذكريات الطفولة ! . . .

ليتك لم تعرفني، ولم اعرفك ! . . . علي ابقى متربعاً على أنف تلك الذكريات ! . . .

نعم . . . نعم . . . لقد اجبته . . . وصريحاً جداً كان جوابي . . انه من روحي . . . من حقيقتي ! . . . لقد قلت له . . . انا لا املك ثمن الكعب ؟ ! . . .

كان جواباً صادقاً ... ولهذا كان مؤلماً ...
ستظن دون شك انه كان مؤلماً لمن سمعه .. ليت كل الذين
يسمعون يتألمون دائماً .. اذن لاقترب الألم من الموت ..
وحانت ساعة ميلاد السعادة ...
ان الذي قلت له ذلك لم يتألم ...
ولماذا يتألم السامع لما يسمعه ؟
افرض محتوم ان يحرك حرمانك آلام سواك ؟!
اسمع : لقد اجابني هكذا ...
الا تأكلون اللحم ؟! .. الا تطبخون الخراف!
كلما طبختم حملاً او خروفاً اجمع الكعاب وتعال
لنلعب بها ! ...
الذي يجيب بهذا ايستطيع ان يدخل نفسه الألم ،
وان يشعر بما يشعر به امثالنا ؟! ...
لم اقل له : الذي لا يملك ثمن كعب بلا خروف ...
لا يستطيع ان يملك ثمن خروف بكعب ؟! ...

لم اقل له ذلك . . . بل لجأت الى السكوت . . .

عندما يسكت الواقع . . . يتكلم الألم . . .

ما اقسى حياة البائسين ! . . . ان كل دمعـة من

دموعهم تجدر تمثال ! . . .

ان منظر طفل بائس مثلي . . . يومئذ . . . يجدر

ان يرسم في لوحة زيتية . . .

هكذا . . .

هزيلاً . . .

رث الثياب . . .

صامتاً . . .

هادئاً . . .

لا تعلو الابتسامة شفتيه . . .

مهدل شعر الرأس حتى الأذنين . .

طويل الاظافر . . .

والاطفال حوله في مباهج ثيابهم وارواحهم يلعبون ،

ان منظراً كهذا لو صور وعرض في لوحة زيتية كم كان يساوي ؟!...

انه يساويني أنا...

انا الطفل الذي يرى نفسه لوحة زيتية رسمته يد الاله ، والقته مهملاً على الجدار كالاعلان تمر به العيون...

ثم لا تلبث ان تنتزعه يد الالفة والعادة...

فيصبح كالجدار...

لا صورة... ولا الوان...

هكذا...

هكذا ايها الصديق...

بل هكذا... هكذا ايها القاسي الذي لم تتورع عن ايقاظ ابعد صورة مؤلمة لألمي... في سبيل ان تمزج بي... ان تحركني للاشتغال بك... للتفكير من اجلك...

لله در انانيتك . . .

ان كل الاشقياء ضحايا الانانيين . . .

فلا تكتب الي بعد اليوم . . .

اتركني لآلامي اعانيها ، واطويها . . . فقد شعرت بثقـل حملك . . . لأنك ألم الى ألم . . . وهل اشق من الذكرى . . . على المتألمين ! . . .

٥

تدعي انني كسول خامل في المدرسة ؟

وانني قوي الارادة ، سلط اللسان ، حاضر النكتة ،

غير هياب بالمستقبل ؟!

لو ان ما قلته كان حقاً ، ماذا تستنتج منه ؟!

البراهين التي جئت بها صادقة . . لأنني اذكرها

جيداً ولكنها لا تدل على ان الذكرى حملت اليك فكرة

قديمة !

انك لم تتحدث في كتابك عن نظم التعليم . . .

لم تقل شيئاً عن ذلك المعلم الذي كان يشغلنا ساعة

كاملة في الحديث عن نفسه . . . وعن رحلاته . . . ولا

يستبقي لنا الا بضع دقائق يشرح خلالها الدرس ، ويفرض الفهم ! . . .

اريد ان يكون مثلي امام هذا المعلم ، كالمعترف امام الهيكل ! . . .

اني لم اكن اجسر ان اقول له ، لا تكمل يا استاذ ، الذي تقوله لا يعنينا . . .

لهذا كنت اسخر منه ، باسلوب فكه رمزي ! . . .

انه كان يشعر بذلك . . . ولكنه كان يسكت على مضض . . . لأن شهوة الكلام كانت تغلب الكرامة ! . . .

انا لم اكن قوياً ، ولكن المعلم كان ضعيفاً . .

ارأيت ان المقاييس هي التي تُخرج الحقيقة ! . . .

ثم لمَ لم تذكر هذا الاستاذ الذي يقف ساعة على اللوح الأسود وبيده الطباشير ، ليشرح لنا – س ج – ورموزها من الجبر ، دون ان يعرف لنا اسباب الاصطلاح وهدفه ؟ ! . . .

اني اشكرك لأنك اهديتني ابياتي بهذا الاستاذ...

لقد فقدت هذه الابيات منذ قلتها ..

لأن مثل هذه القصائد تقال للدقيقة التي تقال فيها انها جميله ...

انظر كم كنت صادقاً حين قلتها ...

لقد صورّتُ مدى تقديري لعقلية مثل هذا الاستاذ...

انا بعد خمس عشرة سنة واكثر اكتب اليك عن هذا الاستاذ باسلوب لا يختلف عن اسلوب تلك القصيدة..

ارأيت انني كنت صادقاً ... واني الآن كذلك صادقاً فيما احمله من فكرة عن هذا الاستاذ ...

لقد قلت :

ما بين جمع وطرح   او بين ضرب وقسمة

قضيت عمر التلهي   وما وصلت لقمة

جزاك ربك شراً   ولقاك اتعس لطمة

تركت سبعاً وخمساً   وجئت بالسين نقمة

كأن عقالك يبدو مثال جيمك حرمة
لعفت سبعاً وخمساً وان قضيت فنعمة !

ان مثل هذا الاستاذ لا يشوّق للدرس، ولا يبعث الجلد في الروح ، فكيف تريدني ان اسكت عن اهانته ، وان لا اظهر القوة والبأس امامه ؟! . . .

ثم انت تزعم انني لم اكن اعبأ بالمستقبل ، هـذا صحيح ، لأن الذي يعيش في حاضر يصرعه مالكه بالاهمال ، لا يستطيع ان يقدر قيمة المستقبل الذي سيليه . .

ان ضعف الاساتذة ، وعـدم شعورهم بالواجب ، واعراضهم عن الاحتيال لاستثمار الحاضر في سبيلنـا ، كل ذلك كان يوحي اليّ ، ان منهاج الحياة كالحركة الاوتوماتيكية التي لا تحتاج الى تفكير . . . ولا جهد... ولا يضر وقوفها . . .

الحقيقة اننا عشنا في جو موبوء يوم كنا طلاباً ... اتذكر ان استاذ علوم الدين كان يحدثنا باسلوب هزلي ،

ولسان الكن ، وان اسنانه المزيفة كانت تتساقط كلما ملكه الغيظ واضطر للصراخ ، وانا كنا نتقصد ازعاجه لنشهد هذا الفصل المضحك ؟! ..

لماذا كانوا يتقصدون ان يكون معلم الدين شيخاً معمراً؟ اتراهم لا يؤمنون بايمان الشبان؟! ...

الم تذكر ان هذا المعلم كان يعرض علينا امثلة دينية خرافية لا يتسع لها المنطق ، وانا كنا نسخر منه كلما ذكر لنا مثل هذه الامثلة ؟!

اني لا زلت اذكر حديث نواقض الوضوء ، والحيض والنفاس ، انه حديث اضحكنا كثيراً ، اتدري .. انا لم نفقه من علم الدين شيئاً ، بل لقد نسينا الكثير مما علمتنا اياه المدارس الابتدائية لأن مثل هؤلاء المعلمين يصرفون العقول الى الضحك اكثر من الدرس ، انهم يضرون اكثر مما ينفعون .. . انهم يخرجون طلاباً لا دين لهم في الوقت الذي يظنون انهم يُدَينون من

لا دين لهم ! . . .

ثم ما لك لا تذكر هذا الاستاذ الذي يزعجه منظر طه حسين واسم طه حسين ، وكلام طه حسين الم نكن نرسم وجه طه حسين على اللوح لنتخلص من درسه ، فيكيل الشتائم ، ويسرف في السباب ، الى ان ينتهي الدرس ، فلا يفيد ، ولا يستفيد ؟ ! . . .

اتذكر قصيدة كنا نلقنها في المدرسة مطلعها :

انت الكرة كالسكرة   هيا العبي في المكتب ؟

انهـا كانت قصيدة جميلة . . . ضحكنا لها ، وفرحنا بهـا ، واصبحت انشودتنـا كلما لعبنـا في ساحة المدرسة . . .

ثم اتذكر انا اذ دخلنا المدرسة الثانوية ، وحملنـا على ان نستظهر بعض القصائـد لشعراء سيجري حول حياتهم وشعرهم فحص الشهادة ، كم تحملنا من مشاق لحفظ هذه القصائد ؟

اني ما ازال اذكر انني قلت للاستاذ يومئذ لم لا تكون هذه القصائد من مستظهرات الصفوف الابتدائية لنجيء الى الصفوف العالية مسلحين بها ، فنختصر بها بعض الجهد ؟! . . .

ان المعلم سخر مني . . . ولقبني بوزير المعارف . . . لأنه صعب عليه ان اتحدى الوزارة في وضع البرامج !...

لماذا يسخرون منا نحن الاطفال ؟! . .

لماذا لا يكترثون بآرائنا ؟! . . .

السنا مرضى يعالجوننا على مقاعد الدرس؟! . . .

الاطباء لا يستطيعون وصف العلاج قبل ان يسألوا المرضى عن آلامهم ، ومواطن الضعف في اجسادهم ، وما يعانونه من مشاق ؟! . . .

ليعتبرونا مرضى . . . فيسمعوا الينا . .

فانا يوم قلت للاستاذ ان نصف كتب التاريخ يمكن ان تحشر في كتب القراءة سخر مني . . .

ويوم قلت له ان بعض جغرافية البلاد يمكن ان تدرس مع الرياضة والكشفية نظر الي شذراً . . .

ويوم قلت ان الكيمياء والجبر والهندسة يمكن ان تفصل عن برنامج المدرسة ، ليكون لها طلاب شغفون بها زجرني ووبخني . . .

الم اكن محقاً في كل هذا الذي قلته ؟ ! . . .

انى لست مشرّعاً ، ولا منظماً ، ولا استاذاً في التربية والتعليم ، ولكنني مريض اعالج ولي حق الكلام ! . . .

ان طلاب الصف الثالث والرابع والخامس في المدارس الابتدائية يقتلون ساعة كل يوم بتعلم الاملاء ، وما هي هذه المقالات التي تُملى عليهم ؟ ! انها جوفاء لا تحتوي فكرة ! . . .

هذه الساعة الا يمكننا ان نستثمرها عن طريق الاملاء لبعض مواضيع التاريخ والجغرافيا وحياة الادباء ولو

بصورة ابتدائية مصغرة !..

اكل هذه المقترحات ليست شيئاً مذكوراً ؟!..
ألا يمكن تحقيق ولو جزء يسير منها ؟!

ان الاطفال في المدارس لا يملكون حق الجدل ، ولا ابداء الرأي، فهم امام الاساتذة كالمصلي امام المحراب! بخشوع ورهبة يجب ان يردد الآيات...

ان المدرسة تكوّن بهذا النظام الذي يشل تفكير الاطفال شباباً لهم قوة الآلة ، لا عقل صانعها ... لهذا ضعف الايمان ، بالشهادات والاجازات واخضعت الوظائف والاعمال للفحوص ، اترى ان الحياة العملية لا تعرف الى النظام الدرسي المعمول به في المدارس ، بل تلجأ الى النظام الذي نقترحه وهو الاختصاص !... فما فحوص قبول المستوظفين الا سخرية علنية بالشهادات...

في هذا الجو الموبوء عشنا نحن الطلاب !... وبين مثل هؤلاء الاساتذة طلب الينا ان نكون الاشخاص

الذين يتطلبهم مجتمعنا الظمآن الى الرجال !...

اردت من هذا كله ان اكشف لك عن حقيقة تأخري دون الطلاب...

ان كثيرين يستطيعون ان يعيشوا عيشة الآلة حتى في تلقيهم الدروس. هم يستظهرون حتى الجغرافية والتاريخ، والحساب والهندسة والكيمياء، اما نحن فلا نستطيع ان نتلو درساً من الدروس قبل ان نؤمن بفائدته.. اننا نريد ان نحب قبل ان نفهم ونستفيد او نؤدي واجباً...

ان الدرع الذي يهدى الينا ليدرأ عنا الموت قد لا نتدرع به ان لم نحبه !...

ارأيت كيف نعيش نحن ؟!...

الذي مثلنا لا يستطيع ان يكون بين المبرزين من الطلاب....

والذي مثلنا لا يهمه مستقبله كثيراً... لأنه ينشغل عنه بمداواة بغض حاضره !،..

متى احسنتم بناء الحاضر تؤمنون المستقبل الذي اليه تطمحون . . .

تقول ايضاً فيما تقول . . . وانت اكرم من يجود بالكلام . . . انني كنت سطحي العلاقة مع الطلاب . . . لا استصحب مبرزاً ولا ارافق فوضوياً . . . اختلي بنفسي ساعات طوالا وبين يدي كتاب او مقال . . . او قطعة ارصف عليها بعض ابيات من الشعر ! . . .

اذكر ذلك جيداً . . . واذكر معه انني نظمت قصيدة في احد الدروس ، فعثرت بها كف المعلم ، تصور ذلك اليوم ! . . . اتدري ما صنع المعلم بالقصيدة لقد رفعها الى المدير لانال قصاصي . . .

حقيقة مضحكة هي الحياة . . . ان كل فرد فيها ينفرد بفكرة وطراز للتفكير . . . مثل الحياة المدرسة المعلمون فيها مندوبون عن هذه الافكار . . . ومجلس ادارة المعلمين لمجلس وزراء الدولة .

اتراها صورة صادقة هذه الصورة التي ابسطها للمعلمين يوم التفوا حولي وكل منهم يبدي رأياً لا يتفق مع رأي زميله :

هـذا معلم الكيمياء يحتج لأنني اصرف درساً له فأذته وخطره في نظم قصيدة سخيفة ! . . .

وهذا معلم الادب يحتج ويدعي ان القصيدة غير سخيفة وان لم تخل من بعض العيوب وهذا معلم الدين يقول ان هـذا الغزل حرام مفسد للاخلاق ، يجب ان اجازى عليه حتى لا اعود اليه . . . .

وهذا معلم الرياضة يقول ان الاطفـال يجب ان لا يبكروا في مثل هذه الاعمـال لئلا يفقدوا نشاطهم وصحتهم ! . . .

وهذا . . . وهذا . . . الى ان ضاع الجرم الذي اسند الي، والشكوى التي رفعها المعلم ، ومزقت القصيدة، وطلب الي الانصراف للدرس ، دون ان يدرس

الاختصاصيون اسباب الاستهتار بالدرس، او طريقة ترغيبي في الاصغاء والاستفادة!!...

اتذكر؟!...

ان صخب الطلاب، وصياح المعلم، وجو الالقاء لم يكن يؤثر في، بل كنت استطيع بالرغم من ذلك كله ان اختلي بروحي، فاستفرغها قصيدة شعرية، واستوحيها موضوعاً خيالياً...

هكذا انا في المدرسة... وفي الحياة... لا اعبأ بأحد... ولا يهمني احد... اشعر بوجود الناس ولا يشوقونني لاصطفاء احدهم!...

فانا انتهيت من الاصطفاء... لقد عرضت علي صيدلة المدرسة كل انواع العلاجات للميل الذي هيأتني الطبيعة له... فاصطفيت الأدب... والشعر.. وافرغت لهما نفسي بكاملها... فكانا عزائي عن الناس.. وخمرتي في عزلتي عنهم...

ولكن الصيد لا يني لم يشأ الا ان اتناول كل عقاقيره ...

لهذا كانت نفسي تعاف ما لا تحب وتبرز فيما تحب ...

ولعل هذا ايضاً هو العذر الوحيد لاخفاق الكثيرين

ممن لا يتفقون معنا في الميول . . .

لو انك عرفت بي هذا كله . . .

لما شعرت انني كنت كسولاً . . . خاملاً . . .

لا اعبأ بالدروس ولا اتهيأ للمستقبل الذي تريده الدراسة ..

اني اشفق عليك ان تفرغ جهدك في تصور الوقائع ،

دون ان تجهد روحك في معرفة مسبباتها وغاياتها . . .

ان الذين يكتبون مثلك لا يستحقون ان يقرأ لهم

لهذا خير لك ان لا تكتب الي بعد الآن .

لأني عرفت انك لا تستحق ان تجاب . . .

ولا ان يفرغ من اجلك وقت . . .

فهل ادركت في نفسك ما ادركت الآن ؟! . . .

فاسكت . . . لتستريح وتريح . . .

٦

هذه أول رسالة من رسائلك الصادقة ! . . .

اتعمدت ان تكتبها هكذا . . . ام تعمدت ان تأتي سافرة على قرطاسك بالرغم عنك ؟ !

الصدق في الكتابة كثيراً ما يفرض نفسه على الكتاب!

انك كنت صادقاً . . . هذا حق !

وأما انك تعمدت الصدق، ام تعمد هو الظهور بالرغم عنك فهذا لم يعد يهمني بعد الاطمئنان الى الصدق!

انت تحدثني عن والدتك . . .

تقول « ان والدتي ليست اكثر من ممثلة لناحية

واحدة في حياة نساء الشرق ! . . .

« ان ما تتخلق به والدتي ، وما يوحيه هذا التخلق لي ، ليس اكثر من جزء يسير مما يعانيه كل اقراني في الشرق ! »

وانت بعد هذا الكلام تحاول ان تصف والدتك...
انت تسألني بعد كل وصف إذا كانت والدتي كوالدتك ؟

ان صدقك لا يستحق الكذب . . .

الذي يتعرى امامك عيب ان تباهيه بثيابك . . .

اظهر امام المراة عارياً فلا تجد محطاً للسخرية الا اولئك الذين يرتدون الثياب . . .

لهذا سأجيبك عارياً . . .

عارياً من الخوف . . . من التقاليد . . . من غضب والدتي . . . من غضب المجتمع . . . من غضب النساء . . . عارياً من كل شيء الا من الصدق . . . لأنك كنت

صادقاً . . .

اترى لو كنت كاذباً اكنت احببك . . .

انا لا اصدقك الكلام جزاء على صدقك . . .

انا احدثك جزاء على صدقك . . .

تقول ان والدتك تستيقظ قبل الشمس ، وانها تبدأ عملها كل يوم بتلاوة عشر من القرآن . . . ثم بالصلاة والتسبيح والدعاء ! . . .

هذا العمل يزعجك انت ! . . .

لو ان والدتي تعمل مثله لحمدت الله . . . ولم احتج ! بل اكتفيت بأن انقل فراشي الى اقرب غرفة مجاورة ...

أتحسب ان تحمل الاستيقاظ باكراً . والانزعاج بهذا الهمس الذي يقع كالمطرقة على اذني من لم يرتو من النوم يعد شيئاً كثيراً بالنسبة لغير هذا الطراز من وسائل ازعاج المعمرات ؟ !

ليت كل المعمرات يشغلن بما تشغل به والدتك !

انك لو شكوت الصداع، او حب النوم، او المرض او اى شيء لتمكنت من ان تنقل فراشك من غرفة والدتك حتى ولو الى . . . المطبخ . . .

ولكنك لا تستطيع ان تنقل مسامعك حيث شئت اذا كانت والدتك فيلسوفة تريد ان ترسم لك مناهج اسعادتك وبرامج لأعمال تفتح عليك الرزق ؟!

الدين شاغل قوى للثرثارات من النساء عن كثير من الامور التي لا تعنيهن!

ولكن ما رأيك في ان تكون الامور التي لا تعنيهن شاغلة لهن عن الدين نفسه ؟! . . .

ارأيت ان مصيبتك بوالدتك سهلة هينة بالنسبة لمصيبتى انا ؟! .

ان الدين يبرهن على ضرورته لحياة الانسان في مثل هذه المواقف!

لولا الدين، ولولا تشاغل والدتك به، اتعلم ماذا

كان ينتظرك ؟! . . .

اقل مصيبة يجب عليك احتمالها ان تجلس امامها كالعبد امام مالكه لتسمع حكمها التي لاتستطيع الا ان تقر بصحتها . . . رغم انك تسخر من نفسك لهـذا الاقرار . . .

ارأيت اننا نتعود في البيت اصول غش انفسنا ، والكذب على الناس ؟! . . .

لو اننا علمنا حق القول لو الداتنا ، ان هـذا الذي يقلنه لايتفق مع الحقيقة ، او مع التطور الفكري الذي وصلنا اليه نحن ، اذن لاعتـدنا ان نجابه الباطل بالحق ، وان لانترك الضلال يسبح في نفوس محدثينا عما نغدقه من المديح والثناء المزيفين ؟! . .

اننا لانكتفي ان نكذب . . . او نتعود الكذب بل نغش . . . ونحول دون الهداية والتصويب ! ! . . .

ان داء والدتك يمكن احتماله ، بأن تقتصد قدحاً من

خمرة الليل ، اوساعـة من ساعات السهرة ، حتى تمـكن من ان تستعد للهرب في الدقيقة التي تفتح عيناك واذناك فيها لمشهدها وتلاوتها

ولكن المصيبة في ان لاتجسر على الهرب . . لان الحكمـة تراقبك . . . والسخط . . . والغضب الالهي ينتظرانك ان هربت ! ! . . .

ان انانية المعرفة هي التي تدفع الامهات الى مثل هذه المواقف ! ! . . .

وان انانية المعرفـة هي التي تدفعنا نحن الابناء الى هذا التبرم ! ! . . .

ومتى تتلاقي الانانيتان ؟ ! . . .

هذا صعب اليس كذلك ؟ ! . . ؟

نعم سيظل صعباً تحقيق هـذا اللقاء الى ان تتلاقي العقول والثقافات والافكار . . .

وتقول ايضاً ان والدتك كثيرة الانتقادات ، ان

شيئاً من عاداتك لايعجبها ، انها تريد ان يكون لك شاربان كبيران ، وطربوش اسود ، وان تأوى الى البيت مع الغروب وان تصلي بها اماماً كلما اذن المؤذن للصلاة

حال والدتك غير مزعجة

لو انني كنت مكانك لتواريت عن انظارها بعد سكوت عن نصائحها ، وجعلت كلامها كمياه الغدير لاتجري الا لتصب

ان مصيبتك بوالدتك اقل من مصيبتي بوالدتي

ان والدتي لايشغلها شارباى فهى تزعجني في كل صباح ومساء باحاديث عن اناس لايهمني امرهم ، بل لا يهمني انهم موجودون في الحياة ، وتريدني ان ادخل الجدل في انتقاد حياتهم كما لو كانوا جزءاً مني

ان والدتي متطفلة على حياة كل انسان ، تبحث خصائصه وخصوصياته ، وتفرض علىّ ان اشاركها هذا البحث ولكن والدتك تبحث في امرك انت فهى تحب

لك المظهر الذي ترى فيه الجمال المشبع لرغبتها واختيارها

انها تجد الرجولة في الشاربين وتريدك رجلا بشاربين .. اترى اى بون بين امي وامك .. تصورني بربك قابعاً امام والدتي ، شاخصاً نظري بها ، تتحدث الي في مثل هذه السخافات ، وانا لا ادري في اي عالم علوى اسبح ..

قد تستطيع ان تتخيلني هكذا : مسترسلا مع نفسي في الخيال امامي امرأة عجوز ، بشكلها الهرم الذي يوحي الاطمئنان .

هي تتحدث وبيدها مسبحتها ، وانا انظر اليها شارد الفكر كانني اكبر ماتقول واقدره

هي تبسط الحكمة والعظة في وقار ، وانا اظهر الفهم والادراك في وجوم

مثل هذه الصورة لو عرضت للانظار لا يشك احد في انني خير الشبان الطوع لامهاتهم ، وانها خير الامهات

المرشدات الواعظات لاولادها

ولكن تصورني بربك حينما تتحرك شفتاها لتسألني رأيي في الذي قالته ، وحينما تدرك من جواب القبه مسايرة انني لم أفقه مما قالته شيئاً ! . . .

فتكيل لي اللوم والتقريع انتقاما لشعورها بالتصاغر امام احتقاري حديثها واعراضي عنه

وتصورني بعد هذا حين اشعر انني بعدت بل يئست من العودة الى عالمي العلوي الذي كنت سابحاً فيه

تصورني وانا انتقل من هذه الانفعالات النفسية الى الضجر ؛

اليست صورة جميلة هذه الصورة ؟! . . .

امرأة عجوز ، رافعة يديها الى السماء ، تدعو كل سخطها ان ينزل عليّ ، وشاب مبعثر الشعر ، ممزق الثياب ، رافع ساعديه نحو السماء ، يتهددها ويغدق عليها ماشاء من السباب . . .

ولحاف وفراش وثياب وكتب ودفاتر واقلام وحبر وتبغ .

... من كل ماتحتويه غرفة الشاب مبعثراً في كل مكان من الغرفة ؛ اليست صورة جميلة هذه الصورة ؟!

انها ترمز الى حقيقة واقعة في كل بيت...

تُرى لو عُرضت هـذه الصورة في السوق كم تساوي من المال ؟... اظن ان احـداً لا يشتريها رغم اعجابه بها ووقوفه امامها ساعات طوالاً لأن واحداً في الشرق لا يريد ان يعلق على جداره اماً جديدة الى جانب امه ؛ وشجاراً جديداً الى جانب شجاره مع امه.

أترى كيف اننا نعاني الداء نفسه ؟!...

تقول ان الشارع يضيق كل صباح وظهر عن اتساعك وانك حين تسير تعثر رجلاك حتى بأحجار الرصيف الضخمة، وانك كثيراً ما شج رأسك بجدار او سيارة، او اصطدم صدرك بانسان او حمار...

انت تعزو ذلك الى ما تعانيه من ذيول هـذه الاصطدامات العائلية.

انا اصدقك لأني كثيراً ما كنتُ مثلك وعانيت
الذي تعانيه .

فأنا لا أغلق باب الدار حتى أقف طويلاً في الدرج
الموصل الى الشارع استعرض ما كان في البيت وما جرى
من نقاش وجدل فاحتقر الدنيا التي تضم امهات كهؤلاء
الامهات ؛ لا همّ لهنّ الا ان يسجن في عالم محتقر
هزيل كل ما فيه يمكن الاستغناء عنه فان هجرتُ الدرج
الى الشارع كان ميزاني لا يفرق بين المشاة عليه وبين
من خلفتهم وراء باب الدار .

ان كل الذين لا يفهموننا نحن الادباء يمكن
الاستغناء عنهم بل هم محط سؤالنا دائماً عن الدافع الى
خلقهم وايجادهم . . .

ان حالك غير محزنة ايها الاخ لأنها صورة منعكسة
عن اسبابها فأنت قد لا تعلم في نفسك أشياء اريد ان
اذكرك بها . . .

اني لا اذكرك بهذه الاشياء لأقول لك اني اعلم عنك ما لا تعلم انت ؛ بل لأن ذلك الى سبب من اسباب شذوذك في الحياة .

اذكرْ جيداً واعترف بصراحة . ألست سَلِطَ اللسان مهاجماً كل فكرة نقادة لكل رأي مسرفاً في التشهير والفضح واعلان العيوب التي تكتشفها فيمن تعاشره او تصادقه ؟ . .

إعترف جيداً . . .

إنك لا تستطيع أن تنكر أن ذلك بغَّض رفاقك بك لأن ما اقوله يؤيده تبرم اصدقائك بك كلما جالسوك

اعترف انك كذلك اقول لك مسبباته

انك لم تعتد الكذب ، لهذا سأقول لك السبب :

انك على ما وصفت مما بينك وبين امك لا تجسر ان تقول لها أفٍّ من الضجر ولكنك لا تقوى على احتمال رأيها ، والصبر على فلسفتها ، لهذا تتملكك

السوداوية وتتحكم بروحك فتنشأ نقمتك على كل شيء في الحياة، واحتقارك كل انسان في الوجود. انت تصبر كثيراً على والدتك احتراماً لشيخوختها، واعترافاً بجميل تربيتك ولكنك لا تستطيع ان تصبر على هذا الذي يبدو من رفاقك ومعاشريك . . .

فهم اذ يظهرون بغير مظاهرهم ويلقون الآراء على غير استقامة ترى انهم يستحقون الاحتقار والتشهير لهذا تثور وتزبد وأنت تنتقد وتشهر، تهشم وتحطم... فأنت صادق في كل مواقفك، سديد الرأي في كل ما تقول، وانت تنتقم من المحيط بكامله فيما تتخلق به، انت تنتقم من والدتك فيما تعامل به اقرانك، انت تعوض شخصيتك ما خسرته امام والدتك فيما تعلنه لعشرائك.

ان الذين يبغضونك لا يستطيعون ان يقولوا انك على غير حق في كل انتقاداتك، هم لو نظروا اليك بمنظار بعيد عن انانياتهم لأقروا لك انك المبشر الوحيد للصدق

والاستقامة ؛ ولكنهم اذ يكذبوك بالموافقة والتأييد والمديح والثناء يريدونك ان تقابل كذبهم وتضليلهم بالكذب والتضليل .

انك لا تستطيع ذلك لأن حياتك البيتية لا تتيح لك ذلك . . .

انهم يرونك متحدياً لهم متطاولاً على حرياتهم ، تمثل دور المحامي فيما يعنيك ولا يعنيك .

ارأيت انك غريب في جوك ؟ إن غربتك لن تزول ، ولا يمكن ان تزول الا اذا استقامت حالة عائلتك وصلح امر والدتك .

انت لست مثلي . . .

انى قلت لك في رسالة سابقة ان معرفتك اياي لا تمكنك من العيشة على غراري .

لاني انتقم بالسكوت وانت تنتقم بالكلام ، انا

اضم المأ الى الم، وأبني عـذاباً على عـذاب ، لانفجر في قصيدة؟ او كتاب.

اما انت فياويح ماتعانيه انت . . .

انك تفرغ ألمكَ بهذا السخط الذي تعلنه ، وتفارق احساسك وشعورك بضرورة الاصـلاح فيما تنثره في جدلك مع الناس.

انك لو جمعت آلامك في كتـاب ورفعتـه الى من بيده السلطة والحكم لهديت الى طريق الاصلاح ان كان هنالك من يريد ان يرى طريق الاصلاح.

ارأيت؟ لقـد استطعت أن احـدثك اليوم طويلا واكثر من كل يوم!! حـدثني عن نفسك اسمع اليك واكتب اليّ عن حالك اقرأ اليك.

انا اصبحت احبك لانك تحـدثني في اشياء لاتبعث الالم . . . ولـكن توحي التفكير باستثمار الالم . . .

حدثني . . .
اكتب إليّ . . .
لا تنسني . . .
لن انساك . . . لانك الواقع الذي نفترش عليه حقيقتنا
الضالة في ظلام نفوسنا . . .

٧

تقول ان والدتك شقية بك ؟!

انك عالة على روحها . . .

هذا صحيح ! . . .

كل الاطفال دملة في جسد الامهات لا تشفى ولا ينتهي ألمها . . .

كما نتبرم نحن بعقول امهاتنا . . . هكذا امهاتنا تتبرم بالعطف الذي تعانينه !! . . .

انا داء عضال في نفوسهن يظهر بالشفقة والحنان !!

آلمني جداً انك بلغت من الرقة في الحس ان تدرك ما في اعماق والدتك ! . . .

اجلد الناس على مجابهة الحياة الذين لا يعرفون ما في اعماق غيرهم من احساسات . . .

ان هذا الداء هو الذي يربط الانسان بالانسان ويكوّن صلات الرحم ويؤسس العائلات ، ويمتن المصالح بين الافراد، ليكوّن المجتمع ؟! . . .

ان والدتك - كما تقول - تطفئ السراج اذا اوقدته لتقرأ ! . . .

انها ليست بخيلة تشح ان يهدر النور . . .

ولكنها بخيلة بصحتك ان تهدرها من اجل قراءة كتاب . . .

لله در العطف كم اطفأ من سراج لو ظل متقداً لاهدى الى خير سبيل ! ! . . .

ان الكتب عند والدتك ليست اكثر من لغو وحشو افرغه الكتاب على القرطاس ليقتلوا وقت امثالك من الشباب الغر ! ! . .

هذا لو قاله مثلك لكانت فيه بعض الحكم لان الذين كتبوا حتى الان لم يكتبوا اليك، بل الى لسانك الذي يريدون ان يدور باسمائهم، ان المؤلفين، جزارون ينحرون اوقات الناس ، وهم يستطيعون ان يكونوا بنائين يشيدون عقولهم وارواحهم !!...

لو ان والدتك قالت لك اكتب اشعل لك المصباح لكانت جديرة بالتقدير ...

لأنني اعتقد انك ان كتبت تستفيد وتفيد اكثر مما اذا قرأت ...

الذي ستكتبه ستكون انواره من قلبك، من ضميرك، من حسك ، لأنه منعكس عن حياتك وعن حياة محيطك، وعن الاصلاح المنشود للحياتين.

اما الذي ستقرأه فهو صورة عن هذا الجامد الذي قذفت عليه لتؤثر فيه لا ليؤثر فيك .. لتستثمره لا ليستثمرك ...

انت داؤك هين بالنسبة اليّ

ان والدتي تمزق ما اكتب . . .

تطفىء السراج دون الفكرة التي تتسلل الى قرطاسي

مع النور . . .

انها تقول : الناس لا يجدرون بالكتابة من اجلهم

لأنهم لا يقدرون ما يلقى بين ايديهم .

انها تقول : اغرق في لامبالاتك تحصل على اللذة

من املك بتحقيق رغائب من مبالاتك . . .

انها والدتي التي تقول كل ذلك ؟! . . .

ارأيت ان والدتي اكثر خطراً عليّ من والدتك

عليك ؟! . . .

اسمع اقص عليك . . .

انا ايضاً اسخر من نفسي كثيراً في بعض الاحيان . .

واشترك مع والدتي في السخرية من حالاتي . . .

مرة كنت وحدي في غرفتي . . .

وكنت اقرأ قصة « فقير يتسول » فامتلكني ما فيها من شعور وصدق، فرحت اقرأها كما لو كنت انا ذلك الفقـير . . .

واذا انا القى كلامه كالخطاب . . .

واذا أنا اردد نغمته في صراخ . . .

واذا انا امثل حكمه كما لو كنته . .

واذا والدتي تتسلل الى ثقب الغرفة فتراني كما انا يا لها ليلة ليلاء . . .

لم تحدثني . . . لم تزعجني . . . لم تبرح ثقب الغرفة حتى انتهيت ، فدخلت ببطء . . .

نظرت اليّ في حنان وعطف . . الى ان اقتربت مني فأمسكت برسغي . . . ثم برأسي . . . انها تزن حرارتي ، وتتحقق من سلامة رشدي . . . انها تتبين مصدر ما انا عليه ؟! . . .

فهمت منها كل شيء !! . . .

لقد افقدني الفهم كل نشوة !!...

مساكين ايها الادباء ... انكم تعملون لتبنوا في رؤوس الناس تماثيل لجنونكم بالمثل الاعلى لا لسموكم اليه...

انها حرب شعواء اعلنتها والدتي منذ ذلك اليوم بينها وبين كل كتاب لا بينها وبيني ؟!...

الامهات لا تعرف ان كل كتاب انسان يتحدث الى القراء . كما يتحدث اللسان الى المسامع !!

انها تعرف الخلوة للسكوت...

ان كل الذين يتكلمون في خلواتهم مجانين...

لأن الذين يسمعون الى المتكلمين في الخلوة لا يفهمون ما يسمعون ؟!...

تصور جيداً :...

نعم تصور انني انتهيت من الفحص الذي اجرته والدتي لأعصابي الى وقفة حزينة امام اطلال من الكتب

الممزقة التي حكمت عليها والدتي بالموت لأنها سبب ما انا فيه . . . كما كانت تظن . . .

ليت والدتي أقيمت معذبة لكل الادباء ، اذن لما آلمنا ان نجد مثل هذا الادب الرث الهزيل الذي يشوه ارواحنا . . .

ولكنها اقيمت معذبة لي وحدي . . . فهي كالغارة الجوية على كل طفلة لافكاري وكل طفل لروحي ! ! . . .

انى لا اجسر ان أتوسل اليها ان تتركني لما احب لانني ادعوها الى الرضى عما لا تحب ! ! . . .

اترى كم اعاني من والدتي ؟ ! . . .

مرة واحدة استطعت ان انتهز فرصة وجود احد اقاربي . . .

ان هذا الرجل جد سخيف بالرغم من احسانه الي انه يحبني . . . يقدر مواهبي . . . يعتبرني اكبر اديب في هذا البلد ، ولعل اعتقاده هذا هو السبب في سخافته ! . . .

جلس هـذا القريب مرة يتحدث امام والدتي ، انه

يقول لها انني سأكون شيئاً مذكوراً في عالم الفكر . .

ان اسلوبي غريب فريد ، لاتقف دون تأثيره

صعوبة في الفكرة ، أو بلادة في الفهم،ليس وحـده الذي

يتحدث بهذا عني ، كل الذين يعرفونني بهذا يتحدثون . . .

هكذا قال لوالدتي . .

شعري !! . . قصائدي ؟!! محاضراتي !! . . انها

محط اعجاب كل الناس !! . . .

ان جماهير غفيرة من القراء تجنـدوا في جيش

الاعجاب بي ؟؟ . . .

انه يبارك لها وجودي . .

انه يحسدها على امومتها لي . . .

انه يفخر بقرابته لي . .

انه . . انه . . . انه . . .

كل هذا ووالدتي تسمع اليه . . .

وما ان فرغ حتى نظرت اليه شذراً . . .

انها لم ترض ان يسمعني هذا المديح . . .

لو انها عرفت اني اكذبه في اعماق نفسي لما ازعجها كلامه.

اني آخر الناس الذين يعتقدون انهم شيء مذكور . . .

لهذا اسخر من كل معجب بي . . . ان الكلام الذي

يجب ان يلقى ليبعث الاعجاب لم يخلق بعد ! . . .

لان الكلام بغية الاصلاح لم يظهر بعد . . .

ان رأي الناس فيّ ، وفي ادبي لايغريني ابداً . . .

فهم لو اكتشفوني لحاربوا بعضهم فيّ . . .

لهذا كانت والدتي وقريبي يتحاربان فيّ .

انه اتخذ شكل المذياع يردد مايسمع ؟ . . .

وهي اتخذت شكل اللسان يردد ماتمليه عليه

المصلحة ؛ ! . . .

ان مصلحتها ان لا استرسل مع العاطفة فاوقف

حياتي للادب ! ! . . .

ان زوجها - والدي - كان يقول لها اتعس الناس في الحياة هم الادباء . . .

لانهم يعيشون في احلامهم زاهدين عن دنياهم .

انهم يتغذون بانتصارهم على القرطاس اكثر مما يتغذون بانتصارهم على الحياة ؛! . .

انهم قرابين محتقرة . . .

الذي لايتسول ، لايحظى باللقمة ؛! . .

والذى يحظى باللقمة لاينتج ادبا يستحق الحياة . .

هذا ماورثها اياه زوجها عن الادب والادباء فكيف ترضى لي هذا المصير ؟! . .

ان كل الذين يمتدحونني مجرمون يجنون علي . . .

ليست وحدها التي تقول هذا . . .

انا ايضاً اقوله . . .

هي تقول ذلك لتشعرني بالاخفاق في جهادي الادبي . . .

اما انا فاقوله لأنني لا اعتقـد بتقدير لا يقوم على

اساس التطوع لتنفيذ باعث الاعجاب . . .

انها تريدني بعيداً عن الادب . . .

منصـرفاً الى دروسي . . . لابني مستقبلاً لنفسي . . .

لمصلحتي . . . على اشعر بالسعادة التي يشعر بها كل الناس . . .

اما انا فاريدني لغير هـذا . . . لانني لم أتهيأ لهـذه

الحياة . . . ان روحي التي كانت تحملني الى كل موطىء

نمل ، والى كل مهب نسيم في الارض او في الافق ، لتريني

افاقاً ودنيا لا يتاح للطالب ان يراها ، هذه الروح تشعرني

انني لم اخلق لجسدي . . . فكيف احتمل الصبر على مسخ

هذه الروح ، وتهيئتها لغير ما خلقت له ؟! . . .

ان والدتك لاتراقب كتبك . . .

ان والدتك لاتسكت مادحيك . . .

ان اكثر الامهات يسكرن بمديح اولادهن ،

لاعتقادهن ان كل تفوق لهم ، انتصار لهن ، ولامومتهن

والحسن تربيتهن ليت والدتى هكذا بين النساء . . .

انها عدوة لدودة لكل ما احب ! ! . . .

ان مصيبتي بوالدتي ليست كمصيبتك بوالدتك !!..

ولكنها مصيبة على كل حال ! . . .

اتذكر يوم فصلت عن المدرسة !

الم اقل لك ان والدتي كانت على حق في كل ما قالته للمدير ؟ ! . . .

انها توقعت لي هذه النتيجة المؤلمة . . .

اتظن انى استطيع ان اكون شيئاً في الحياة بعد هذا الانفصال ؟ ! . . .

ان المجتمع الذي نعيش فيه يعبد الاسلحة . . .

ان شعباً بكامله كالشعب السويسري الذي ضرب رقماً قياسياً في عبادة النظام لا يسوى عند الناس اكثر من قنبلة حديثة يخترعها شعب اقوى منه . . . اما استقراره المنشود فليس الا حلماً من احلامه هو . . .

ان اجتياح مثل هذه البلاد قد لا يشغل ضمائر الناس اكثر من دقائق ، ولكن اعجابهم بالاقوياء الذين تسلطوا عليه يشغلهم كثيراً . . .

الم اقل لك انا سننزل ميدان الحياة بلا سلاح ؟! .

لأجل ان اخفف بعض مصيبتك بوالدتك اسمع ما قالته جواباً على هذا النبأ المزعج الذي كتمته عنها شهوراً ، الى ان لمست من قريبي هذا الاندفاع في مديحي، ورأيت ان اجسم امام والدتي قيمة الأدب ! . . .

انني لو انبأتها بهذا النبأ قبل ان تعرف من انا لا اشك ابدا انها كانت ستسخر بي . . .

ولكن حديث هذا القريب مهد لي السبيل ، ومع ذلك اسمع ما قالته :

— بني . . . الآن استطيع ان اندب آخر امل لي بسعادتك . . .

كنت اعيش من اجلك . . . ولكنك الآن

يجب ان تتحمل عبء الحياة وحدك . . .

اوعيت معنى هذا الكلام ؟! . .

انها تريد الطرف المادي منه دون شك ، لأنها لا تستطيع ان تفهم الطرف الروحي الذي لا يكتشفه الا امثالنا . . .

انها لو ارادت من كلامها . . . ان العطف والحنان علي قد انقطع معينهما ، وانها اصبحت تعيش لنفسها حرة من التفكير بي ، لأصابت الهدف . . . وكانت اقتربت من الحقيقة الواقعة ، وكنت ادركت قيمة الروابط الماديه التي انقلبت الى غرائز ، واصبحت هي المعنويات المبحوث عنها في الطبائع والعادات والجولات الروحية السامية . . .

ولكنها شوهت هذه الحقيقة ، وارادت عما قالته ان تعلن حبسها المورد المادي ، وتقريرها اطلاق حريتي في انتهاج الخطة التي تمكنني من الحياة !! . .

لم اتألم يومئذ لما قالته . . .

لأنني كنت جد راض عن هذه النتيجة الموصلة الى الحرية ، ولأنني آمنت باقتراب فجر اليوم الذي استطيع فيه ان اكون الشخص الذي اخترته او اختارته لي الحيـاة . .

ان والدتي في ذلك اليوم لم تكن مثلها في اي يوم سابق !! . . .

انها هادئة ، تحاول ان تتحمل الصدمة بهدوء . . ولكنها على كل حال غير صابرة هـذا الصبر في كل آن . . .

انت لم تحدثني عن والدتك في هذا الموقف ولكنني استطيع ان اقول لك ، ان فصولها المزعجة ابتدأت بعد اليوم الثاني . . .

استطيع ان اقول لك صراحة ، وبأسلوبك الذي حدثتني به . . . انني كثيرا ما نسيت وجود الدرج المؤدي

الى الشارع فحاولت اجتيازه كاجتياز الارض المبسوطة فهويت . . . واصبت بجراحات مؤلمة . . .

قد يكفي ان تعرف من هذا الذهول مدى حرارة المعارك الصباحية ، اما في الليل . . . فاننا لم نكن نحتاج لاتقاء الغارات الجوية الى دفاع سلبي ، وانما كنا نتقيها بلحاف غليظ يسد الآذان بعد العيون . . . وكثيرا ما يحمي الجسد من تأثير الانهيارات . . .

« اكتم كثيرا مما تعرفه عن نفسك . . . »

« لا تكن مجنونا تتحدث بكل ما تعرف . . . »

« ان الذين سيقرأون هذا من بعدك لن يقولوا عنك انك عانيت الكثير »

« بل سيقولون عنك انك لا تعرف حقوق الوالدين . . »

« انهم سيقيسون حالك بحال سواك وهنا الطامة الكبرى . . . »

«لأنهم ينسون دائماً انك انت . . . لا سواك» .

«وانك فوق ذلك كله، أنت روحك لا جسدك !!»

صدقت . . . صدقت . . . ايها الصديق

هذه حال الامهات ؟! . . .

لن ازيدك بحثاً عنهن . . .

اظنك عرفتهن عن طريق امك وأمي . . .

ومن عرف امرأة شرقية واحدة فقد عرف كل نساء الشرق !! . . .

٨

رسالتك اليوم تستحق تفكيرا هادئا

انها رسالة مستخرجة من قلب الواقع الذي اتخذ شكل المألوف ، ولكنه ما زال يخفي بين طياته شكله الممسوخ ! !

ان الحقائق الدفينة في رمس العادات تحمل كشافيها اعباءً أثقل من الحقائق المحجوبة بالأنانية . . .

اني اصبحت اعتقد انك رسام مبدع ، لما تجيد عرضه علي من لوحات تأملاتك ! . . .

أليست صورة بديعة متقنة هذه التي تحملها اليّ في رسالتك هذه ؟ !

انت تقول واصفاً خادمتك . . .

« انها سوداء !

منتفخة الوجنتين !

عالية الصدر واسعته !

متحجرة الثديين مبوزتهما !

طويلة القامة في اعتدال !

منضدة الاسنان في نظافة !

سوداء العينين في كحل !

خفيفة رشيقة مهذبة الحديث !

مطواعة محبة للعمل في نشاط !

تطبع القبل على الايدي في زهد !

وتطبع القبل على الخدود في خيال !

هي تعرف انها امرأة ! . . .

ويجهل الكل انوثتها وآمال الانوثة فيها ! »

ترى لو كنتُ رساماً ، او نحاتاً ايحوجني غير الذي

ذكرته من وصف لاتقن رسم ، اوصنع فتاة زنجية كالتي في بيتكم ؟!

ان الاشكال كثيراً مايكون لها شفاه وان وضعت على القرطاس !

اعترف اليك . . . انى رأيت خادمتك ، اوجاريتك او ماشئت فسمها . . . اكثر من مرة . . . ولكنني لم افكر ان اتفرس فيها كما تفرست فيها انت !

انها كانت سوداء ! . . . ومن ذا الذي يعجبه ان ينظر الى الظلام ؟! . . .

لولا استقباح الظلمة لما اكتشفت الانارة ! . . .

ولولا جمال الجسم الابيض البض لما ابتكرت تجارة الرقيق ! . . .

لم يكن شاغلي عن جاريتك سوادها فقط ! . . .

بل اطراقها المتواصل أمامي . . .

هذا النوع من الشخصية المريضة انا اكرهه !

احب النساء اللي لا ذوات الجسم الابيض البض بل اللواتي يحملن شخصية تدفع الشهوة الكاذبة وتكتشف الميل الصادق ! . . .

ليست كل جميلة استطاعت اجتذابي !

انت تذكر جيداً انني في ليلة دعوتك الى سهرة .

ولكنك لم تمالك ان تقضي كل الليل مثلي !

لم احتقرك اذ ذاك . . . ولا استسخفتك . . .

انت لك شأنك وميلك . . .

لك ان تحب الجسد . . . وجمال الجسد . . .

اما انا فكنت جد راض بتلك القبيحة الدميمة ذات الاسنان الناتئة والعينين المنكسرتين .

انها لم تبخل علي بكل شيء . . . حتى بحديث عذب عن ماضيها ، وحاضرها ، وعلاقة الناس بها وبقبحها ، كانت تحدثني انها امتهنت تجارة الشهوة استرسالا لرغبتها الجنسية . وانها تعاني كثيراً من اعراض الشبان ، وأنها

إذ رأتني رأت الانسان الذي يستطيع ان يفهمها . . .
لهذا هي لي . . .

لقد كانت تتوقع ان لا استلقي الى جانبها ثانية . .
وكانت ترسل الحسرات والآهات لهذا . . .

ولكنها كانت تعزى نفسها ، وتدفع دموع اشفاقي على
قبحها بهذه الكلمات ،

« انني كالظمآن الذي رأى جدولاً . . »

« سأشرب الى أن انتفخ . . . ربما مثل بي دور
الضفدعة فمت . . »

« وان لم أمت . . . فسأنطفئ على الحان خطوات
الاسترسال . . . الى ان اقع بانسان عجيب مثلك . . »

« ان انطفائي هو كل ما بعد الرغبة من الجمال ! ! ... »

انك إذ هجرتني . . . وانتهلت وحدي من هـذا
المعين الغريب ، لم اشك ابداً انني اكتشفت ما في الم
القبح من لذة صادقة لا يحظى بها الا المخاطرون

بأذواقهم ! ! . .

لم تكن كاذبة تلك الدميمة ، ولا ممثلة متقنة دورها الذي اسبغه عليها واجبها ! ! . . .

ان الشفاه هي هي عند المرأة لدميمة ، وغير الدميمة!!

ارأيت كيف ان معرفة النفس توحي لذة اقوى من الغرور . . .

فأنت قد تكون عرفت ذلك في خادمتك او جاريتك الزنجيـة ، فاسترسلت في اكتشاف ما في نفسها مما لا استطيع اكتشافه بنظرة خاطفة اختلسها حين خطرانها امامي . . .

انك معها . . مع كل جزء من اجزائها . . .

بل قد تكون معها في خلوات فتنشغل بعينيهـا ، وكفيها ، وصدرها ، وثديها ، وقلبها الخافق ! ! . . .

انك تستطيع بعد هذا كله ان تتحدث عن الزنجية ، كما نتحدث نحن عن الحوريات اللواتي يملأن الارصفة ،

او تترصدهن على الأرصفة !! . . .

لهذا انت اجدت وصف الزنجية ، واجدت اثارتي للانشغال بها . . .

انت تتحدث عنها كما لو كنت تتحدث عن شيء تحبه ! ! . . .

أما انا فلا استطيع ذلك، لأنني ما ازال انظر اليها نظرة المشفق !! . . .

انا لا استطيع ان احب من اشفق به ، او من ارثي لحاله، او من يستحق مساعدتي، او من يستجدي عطفي . . .

انا لا احب الا الذي يشعر بالاستغناء عني ، وبالتفوق علي ، وبكل شيء يشغلني .

فكيف تريدني ان اعنى بجاريتك السوداء وان اتحدث اليك عنها حديث العارف ببواطنها ، المكتشف لاسرار جمالها !! . . .

انت تصور استلقاءها على فراشها الذي تتعمد بسطه

بالقرب من فراشك !! . . .

وانت ترسم لي اناملها تتحرك بين اناملك لتشعرك وجودها ! . . .

انت متفنن في وصف ارتجاف شفتيها في كل مرة تخلو الغرفة الا منكما ، كأنك تنتظر ان تسمع مايحبس الخوف وما يحول الحياء دون اسماعك اياه ! ! . . .

ان النساء نساء . . .

لافرق بين سوداء وبيضاء ، ولا بين أَمَةٍ وحرة ! ولا بين متعلمة وجاهلة .

انك محق في ان تحسن تصوير هذا كله ، وانك لتدلني الى سمو روحك ، واستقامة حسك ، ونقاوة ضميرك في حديثك هذا ! . . .

ان مجرد اكتشاف ما اكتشفته في بائسة مسكينة كجاريتك ، يكفي لاثبات شعورك بوجودها كانسان حي ، له ما لسواه ، من ميزات . . .

وكان ادل على ما ذكرت من محاسن روحك ، انتهاؤك من حديثك هذا الى الم الاخفاق الذي تعانيه من اعراضك عنها ، وزجرك اياها ، واستبدالك آمالها بأوامر ، وشواغل تدفعها الى الانشغال بغير آمالها ؟! ...

ان في موقفك هذا كل القسوة ... بالنسبة لها ... ولكنه العقل كل العقل ، والحكمة كل الحكمة بالنسبة لهذا النظام الاجتماعي لذي حملها اليك لتكون خادماً ، لا لتكون امرأة ...

حسن جداً ان نحبس شهواتنا عن طلابها ، في سبيل الحدود ، والواجبات ، ولكن سيء جداً ان نقيم حدوداً وواجبات ...

انت تحدثني عن اخيك الصغير !..

لا ... لا تفضح سوأة اخيك فهذا مشين بالنسبة لسواي ممن قد لا تتسع مداركه لتقدير موقفه !! ...

انه القى بها جيفة بعد ان بصق شهوته على صدرها !..

وانك مشفق عليها ، وعلى تلك النظرات البريئة التي ، كانت تسددها اليك ، لأنها استبدلت بالخزي ، والتصاغر . . .

كانت ملاكاً فأصبحت شيطاناً !! . . .

انك لا تقدر ان تحدد سمو الملائكة لتقرن غرائز واخلاق الناس به . . .

وانك لا تستطيع اكتشاف نفسية الشيطان بغير ما صورت لك ، لتقدر ان تزن اعمالك بأعماله !! . . .

قد يكون اعراضك عنها هو الذي جعلها شيطانة مريدة . لا استرسال اخيك !! . . .

انك امام امر واقع قررته انت :

شعورها بفتوتها !! . . .

شعورها بفتوتك !! . . .

شعورها بانسانيتها !! . . .

شعورها بانسانيتك !! . . .

هذا الشعور المتحد اذا ما اكتمل لم تعد هنالك مقاييس اجتماعية . . .

ان المرأة تعرف أنها كل شيء بالنسبة للنظام الاجتماعي، أما إنها غير امرأة فهذا ما لا يمكنها ان تعرفه!...

ان نظرة قد لا تكون مستهدفة شيئاً من جسدها، تحفر في اعماقها ما ليست قادرة على حفره تلك النظرة التي تستهدف الشيء.

ليس مصدر هذا قراءة الأفكار، والغايات بل سماع نداءات الذات . . .

انت تقول ان اعراضك لم يكن احتقاراً بل شفقة . .

ها انت ذا نفسك تكتشف اضرار الاشفاق والحنان . . .

إن الاشفاق ، والحنان ، كثيرا ما كانا سبباً للضحايا . . .

خير لي ان امر بائس مسكين فآخذ عنه فكرة من

ان اعطيه قرشاً . . .

الفكرة قد تنقذ من هو بالقرب من هوته فتبعث فيه الشخصية المتخدرة بالقناعة . . .

اما القرش فقد يلهيه عن النقمة ، فما يعرف طريقاً الى شخصيته . . .

انك تقـول ان مشهدها حين ذكر الاحساب والانساب مطرقة ، لاوية الرأس ، لا تعرف اي بطن حملتها ، ولا اي رجل قذفهـا بشهوته للوجود ، يبعث في نفسك ابعد حدود الألم . . فتذهب بعيداً في النقمـة حتى تثور على نظام الحياة ، وتطلب تهديم العائلة ، لتهدم بها هذا التفاخر ، وتعمر قلوب هؤلاء البائسين ! ! . . .

وتقول علاوة على ذلك ان مثل هـذا الموقف يجعلك تنظر الى هـذه الجارية نظرة اكبار ، لأنها تستطيع ان تعيش في هذا الجو من الألم ! ! . .

حقائق لا انكرها تلك التي تقولها ، ولكنها ليست

مبررا لما كان بينك وبينها ، إن احتقارك روحها المتوثبة اليك ، اشد وقعاً في نفسها من اشفاقك عليها ! ! . . .

انا لا اقول لك ضمها الى صدرك ، واعطها ما طلبته منك ! ! . . .

انا من الذين يلومون شقيقك لأنه اقدم على هذا العمل !

انما اريد ان تفتح بيدك الغل الذي حملها اليك . . . ان تقول لها انت حرة ، اذهبي الى الصدر الذي تريدينه قد لا تذهب . . . انت حاولت ذلك ، وقلته ولكنها لم تذهب . . . هذا عرفان للجميل منها ، لا لحسن رعايتك ، ولا لخدماتك . . . بل لرعايتك اياها في حياة لا تستطيع ان تكون فيها حرة كالحرائر ، طليقة كالطليقات ، سعيدة كالسعيدات . . .

انت لو اعطيتها من المال ما يساعدها على الحياة الحرة ، ولو هيأت لها الزوج الذي يساعدها على انتهال

اللذة الجسدية ، ولو أحييت في نفسها الشخصية الغافية ، اذن لتركتك ، ولآمنت انك خير رجل احياهـا ، بعد الموت الروحي ! . . .

انت لو ذكرت جيداً ماذا تصنع الجواري في حفلات الاعراس لازداد ألمك . . .

إن كل النساء ينتظرن هـذه الليلة ليشبعن غرائزهن الا الجواري ! ! . . .

وان كل النساء يظهرن انتظارهن هـذا مزيفاً بأفراحهن، مستوراً بغبطتهن وسرورهن، الا الجواري!...

انهن يعشن نساء لا كالنساء ولا كالرجال ! ! . . .

لهذا هن يتألمن ، ويحرصن على ان لا يظهر المهن ، الا بالطاعة ، وحسن تأدية الواجب ، والفخر بأناقة الحفلات لان ذلك كله يبني لهن شخصية وان كانت غير التي يحلمن بها اوغير التي يشعرن انهن حرمن منها .

ثم مالك لا تتحدث عن جاريتك السوداء هذه

ولا تحاول ان تفتش عن مصدر هذا الشعور الغريزي الذي دفعها اليك .

انك دون شك تخاف ان تتحدث عن علاقة عمك بزوجته ، وعن علاقة امك بأبيك ، وتحاول ان تقنع نفسك ان هذه العلاقات لا تكتشف منها جاريتك الا الشكل الطبيعي الذي تعرفه انت ولا يشغلك ! . .

هذا حق !!

انت غير مسؤول عن شواغل هذه العلاقات ولا عن اسباب نظرتك الطبيعية اليها ، لأن ماهم عليه منتظرك في يوم ما . . .

ولكن كيف تريد ان تسكت عاطفة جاريتك التي لا ينتظرها هذا اليوم ، ولا من مصلحة ابيك وامك ، واخيك وزوجته ان ينتظرها ، مخافة ان تضيع جهود هذه الجارية ، وخدماتها ، ونشاطها ، وحسن رعايتهم لها ؟! . . .

ان اليأس من الأحلام النفسانية يساعد على تقوية الشعور، وهداية الحس بقوة وسرعة الى اكتشاف وجود تلك السعادة النفسية عند الذين ظفروا بها ..

قد تعرف جاريتك عن علاقة ابيك بأمك، اكثر مما تعرف انت، بل اكثر مما يعرفان هما نفسهما...

لأنها تراقبهما برغبتها لا بعادتها، وبألمها لا بوظيفتها، وبحسدها لا بسرورها...

ان الألم الذي تعانيه الجواري هو الذي يورثهن هذا الخذلان النفسي، ويجعل بينهن وبين شخصياتهن حواجز لا يجسرن على تخطيها...

سل رجال الحكومة... حراس الاخلاق كم عدد الجواري في نسبة بائعات الجسد بين النساء في كل بلد من البلدان التي يحكمونها؟!

ليس هذا وليد استعدادهن لهذا الامر، ولا هو وليد سوء تربيتهن، ولا هو ايضاً وليد شذوذهن،

وشهواتهن .

لا ... ان الذي يقول هـذا مفتر ، يهضم هذا القسم من النساء حقوقهن !! ...

إن السبب الوحيـد هو ذلك الألم الذي يعانينهن بسبب اليأس وهذا الحرمان المفروض عليهن بسبب ظروفهن الاجتماعية وما وصفته من حال جارتك .

تصور كم كان يزعجني ان ارتدي ثوب العيد الجديد، وجارتي تنظر الي وهي في ثيابها الرثة البالية ؟! ...

انها في كل عيد تقبل يدى !! ..

ولكنها اذ تقبل يدي توخزني بنظرات الحسد ، لا السرور ...

لماذا ارتدي انا الثوب الجديد ، وابقي لها الخلق البالي ؟! ...

اليست هي انسانة حية تخضع للتقاليـد والعادات وتريد ان تفرح حيث يجب الفرح ، وان تعلن السرور

بالثياب والزينة ؟!

كل هذا ننساه نحن ، او نتناساه ، بل قد اصبح اهماله في حكم الأمر الطبيعي الذي لم يعد يحرك بنا عاطفة ، او حنواً !...

اما يكفي هذه الجارية الزنجية المسكين ان تجد بنات اسيادها يخطرن امامها بالثياب المزركشة ، ويفتحن الابواب الى الشوارع كلما خطر لهن ذلك ، فيذهبن ويجلن حيث شئن ، ثم يعدن الى البيت بين صخب الافراح ، وزغردة السرور فيلقين امهات وعمات وآباء واخوة يغدقن المدائح على جمالهن وانوثتهن ، ويشتهين لهن اجمل الأزواج ، وانعم حياة زوجية ، وهن ، الجاريات البائسات ، صابرات على سكوت الألسنة عن كل ما وهبتهن الطبيعة من جمال ، وشعور انثوي ؟!

الا تتألم الجارية اذ تلزم المطبخ لتأكل مع الهررة ، والجرذان ، بينما اسيادها على الموائد يتبادلون الاحاديث

المضحكة ، ويسمرون بشتى اسباب السمر ؟!

الا يؤلم هذه الجارية ان تزج في غرفة مظلمة لايدخلها نور الشمس ، وان تجد صحتها تتناقص لهذا السبب ، بينما اسيادها ينعمون بكل وسائل الصحة؟! .

انا مجرمون ... بقدر ما نحن مشفقون ...

ترى لو انني اطلقت لجاريتي العنان ، اما كانت تقدر ان تجد لها حياة ارغد من تلك التي أمنُ بها عليها ؟! ...

وجاريتك السوداء هذه ، لو انها ملكت حريتها ، ولا احدثك عن حريتها الاولى بين عشيرتها ، واهلها ، بل عن هذه الحرية التي يمكنها الحصول عليها بقدر الامكان فهي لو ملكتها اكانت اسعد منها في بيتك ؟

لا شك ان سعادة الحرمان الذي يحركه التذكير اجمل من سعادة مقترنة بشواهد تثبت انها سعادة رعاية؟!

ان الكرم بقدر ما هو جميل محبب وبقدر ما يدخل

الى نفس صاحبه من الراحة والسرور، نستطيع القول عنه انه منغص مزعج لنفس من يصب عليه ويستهدفه من المحرومين !!...

انني لا اريد الكرم، ولا الشفقة، ولا الاخلاص، ولا الحنو، ولا اية عاطفة من العواطف التي يسرنا ان نذكرها، لأنني لا اريد ان ارى من هو في حاجة اليها...

انا لا اريد الفقر، لاضطر للكرم، ولا اريد الألم لاضطر للشفقة، ولا اريد الضعف لاضطر للاخلاص، و لا اريد الحرمان لاضطر للحنو، ولا اريد البغض لاضطر للحب، و لا اريد شيئاً من الاشياء التي تحركني للقيام بعمل في سبيل انقاذ او اسعاد اي انسان !!،..

اريد ان يشغل كل انسان باسعاد نفسه، حتى اذا عمت السعادة الارض وابناءها، لم يعد هنالك فخر، ولا ما يوجب الفخر، و لا تزاحم ولا ما يوجب التزاحم.

عندها تفرض واجبات العمل الموزع المسؤوليات بالنسبة للغاية الواحدة وهي المحافظة على النوع ، واسعاد النوع ، والمحافظة على الطبيعة وتجميل الطبيعة ومحاربة المخاطر وازالة هذه المخاطر .

وما يدريك لعل هذا الحلم الذهبي هو المثل الاعلى الذي يتوخاه الانسان المتدين كأجر له على تدينه ، بل قديكون المصلحون الذين نعتوا بالانبياء تخيلوا هذه الحياة التي تترفع عن الخير واالشر فلم تقنع ضمائرهم بصلاح الانسان الذي زاملهم الحياة في ذلك الجو الابتدائي من الحضارة والرقي النفساني ، فآمنوا ان نوال هذه الحياة المثالية ليس بالامر السهل ، لهذا اقترحوها هدية لمن يحسن عملاً ، واجراً لمن يؤمن بالصلاح ، وجعلوا رمز الصلاح الله ، كما جعلوا رمز السعادة الجنة ، كما جعلوا رمز الجهاد الى هذ الصلاح والسعادة التدين الذي هو دستور التخلي عن الاضرار بالناس والسعي لسعادة كل

الناس على اساس تطهير النفس والسمو بالروح !!...

ان العاطفة اذالم ترق عن كل هـذه المقاييس ، ولم تتحرر من هذه الدوافع التي تخلق لنا التفاخر بالاعمال ، لا يمكن ان تحلم بالسعادة الكلية الشاملة ، التي يجب ان تنقذ من دنيا الخيال، لتتحقق في دنيا الواقع الملموس!!..

ليس امام العقل البشري مستحيل ابداً ؛ ان الذي يستطيع ان يدعي الانسانية ، يستطيع ان يعطي هـذه الانسانية حقها من الاندماج في الخير ، والبعد عن الشر ، بل ان يعطيها حقها من الترفع عن الخير والشر ، لانعدام الحاجـة الى الخير بعـد ان يصبح واجباً لاصفة ، عملاً لا خلقاً ، وبعـد ان يصبح الشر غيره فيما نعرفه الآن ، اى ان يصبح اكثر من العار ، واكثر من مجلبة للنقمة ، واكثر من مضاد لمصلحة الفرد !!..

ان جاريتك حديث طويل ، واني لااقـدر ان اجيبك باكثر مما اجبتك الآن .

قد تكون أنت في حديثك عنها تقصد غير هذا الذي قصدته من البحث ، وقد يكون جمالها الاسود شاغلك ، اكثر من نفسيتها ، وقد تكون خطيئة اخيك محركة فيك الالم أكثر من روحها ولكن هذا كله لا يعنيني بقدر مايعنيني الذي كتبته اليك ، فأنا انسان غريب في اسلوب استخلاصي مواضيع فكرتي ، انا اكتشف التافه لانتهي به الى العظة . . .

انا يهمني مما لا يعنيك ولا يشغلك من حياتك ، وحياة جاريتك ، ان اجعله يعنيك ويشغلك ، واجعل منه نوراً جديداً تعتقد انك كنت على خطأ اذ كنت تستهتر به ، وانك كنت في جهل اذ كنت جاهلاً مصدره ، وانك كنت قاسياً مجرماً لأنك لم تعن به ، ولم تعطه حقه من التأمل ، والتألم ! ! . . .

ان اتفه حوادث الحياة قد يكون له اثره في اكثر خطوات التفوق . . . او الانحدار .

ان اصغر ادوار العمر قد يكون له اثره في توجيه العقل والوعي والعاطفة الى ناحية تؤمن النجاح .. او الاخفاق ...

لا تحتقر صغيرة ، ولا كبيرة مما تعرضه عليك الحياة ...

كن كالطبيعة لا تنكر امومتها لكل شيء مهما احتقر او عظم ...

خير للانسان ان يكون معترفاً ، من ان يكون جاحداً ، لأن استيعابه للكلية محال ، واتصاله بالكلية ضروري ، فليس ثمة من شيء في الحياة لا يعنيه ، ولكن كذلك ليس ثمة من شيء يعنيه ..

ليأخذ كل شيء على انه واقع ، ولكن ليبذل في سبيل الاصلاح ما استطاع ، حتى الفهم على الأقل ... او الاستعداد للفهم !!

انا ما زلنا في حاجة الى مصاقل جديدة لأرواحنا

علنا نجعل منها اسفنجاً يمتص كل شيء . . .

اسفنجاً من نوع يتقبل امتصاص حتى الحجارة والارواح . . .

متى وفقنا ان نصل الى هذه الارواح ، نستطيع ان نقر اننا تفوقنا بانسانيتنا عما عداها . . .

ليكن حديثك هذا الذي بعثته اليّ اليوم ذكرى الى ايام . . .

انا رغم اسهابي لأول مرة في الحديث اليك ، اعترف انني مدين لك باكتشاف هذه المكنونات التي لولاك لم استطع اكتشافها ، ولا اعلانها ولو بيني وبين نفسي ، او بيني وبينك على الاقل . . .

ان اكثر الناس مدينون باكتشاف انفسهم ، او ما في انفسهم لسواهم ، فلأكن من هؤلاء . . .

بل انا من هؤلاء ، مادمت لم اكن قادراً ان اكتب شيئاً عن نفسي لولا تطفلك على روحي ، وارغامها على

الكتابة من اجلك . . .

لهذا اصبحت حائراً بين ان احبك لأنك هديتني الى نفسي ، وبين ان ابغضك لأنك افرغت ما من نفسي . . ، مما كان يشغلني ولا يشغل الناس .

٩

اظن ان الصلة بيننا في الكتب قد انقطعت بعد هذا اليوم . . .

لقد انتهيت من استدراجي بحديث الطفولة الى مرحلة جديدة هي خطواتي نحو الذي اطمح اليه . . .

انك الآن تريد ان تلعب بالنار . . .

انك تحاول ان تمس ناحية القلب من حياتي ، اياك والاقدام على مس ألمي . . .

ان المرحلة التي تتلو الطفولة هي الميلاد الحقيقي للألم ! ! . . . لأنها التأمل في تمخض صراع الآمال . .

انني اضن عليك كما قلت لك ، ان افرغ بين يديك

المعين الذي اعيش بخيره .

ان الذين يتألمون هم الذين يعرفون ما يريدون لأنهم يراقبون تطور شعورهم بالنسبة لمحيطهم . . .

اما الذين لا يدخل اعماقهم الألم فهم الذين يجهلون الغاية من حياتهم . . .

لهذا هم يعيشون لأنهم عائشون ، لا لأنهم ذووا غاية من الحياة يستهدفونها بكل اعمالهم .

تريد ان تعرف شعوري في اول خلوة بنفسي بعد ان دخلت ميدان العمل الادبي بشعوري وحسي .

انا لا استطيع ان اقول حتى الآن انني تفرغت للأدب كما يتطلب الادب .

انني ما ازال اخطو خطوات بطيئة نحو ما اريد ولكنني اعتقد جيداً ان خطواتي هذه توحي الي الاطمئنان .

انا اعتقد انني لا اعيش للأدب لأنني اعيش

للغاية من الأدب .

ان الأدباء يسبحون في عالم علوي، يتخيلون المجد ويرسمون الخطط الرمزية له ، هؤلاء الادباء، مجدهم لا يمكن ان يحقق ، ان عالمهم غير ملموس ولا محسوس الا من انفسهم، ان حياتهم اشبه بخيوط العنكبوت ، ان آمالهم تبنى لتهدم ، اما انا فلا اريد لي هذا المصير . انهم يعيشون لانفسهم ليقال عنهم ادباء . ليرمز اليهم في كل مكان ومناسبة ، ومن هم هؤلاء الذين يتحدثون عن الأدباء؟ بل من هم هؤلاء الذين يعنون بالأدباء ، انهم جماعة اتخذوا الادب كما يتخذ الشاب الغر كأس الراح صديقة وخدينة له ، انهم يقرأون ليسكروا ، انني لا اريد ان تكون حياتي كأس خمرة في ايدي الناس ، انني اريد ان اكون ناقوساً يدق في كل مناسبة لادل على مرض واهدي الى علاج ، انني لا اريد ان يعرفني في كل بلد قبضة من الناس ، يتزينون للمجالس بالادب .

انني اريد ان اكون للمجموعة الانسانية التي ترى في الاديب طبيباً يعالج امراضها الاجتماعية ، انني ابغض السياسة والسياسيين لأن الادب لايدخل ميدانهم الا عن طريق الكتابة والانشاء ، انني لا اريد ان اكون سياسياً من هذا النوع ، انني اريد ان اكون اديباً اجتماعياً تنهار امام قلمه اساليب السياسة والسياسيين وتبنى بقلمه صروح الحرية لكل فرد .

اين انا من الادب يا صاح ؟

إنني ابن المحيط الذي يقدس العادات والتقاليد ويحترم الماضي بما فيه من عجر وبجر ، ويخشى الانتقاد ويبغض المنتقدين . . .

لست اعيب على المحيط هذا . . .

الذي يريد الاصلاح لا يعيب بل يظهر العيوب ويداويها باستمرار . . .

انا اعتقد جازماً انني سأموت دون هذه الغاية . .

ربما فارقتك وأنا ما ازال احلم ان ينعتني واحد بلقب اديب ، ان هذا لا يمنعني من الاستمرار في الخطة التي انتهجتها لنفسي ، انني ما زلت اعاني الكثير من سوء حال البيت ، اتراني افرغ من بحث هذه الامراض البيتية، او انني افرغ من تهيئة العلاجات لهذه الامراض والناس ايفرغون لسماع هذا البحث والتفكير بهذه العلاجات ، ام انني والناس سننتهي الى مصير مؤلم لما نفكر به وما نقرأه؟ انني اشعر جيداً ان الاهمال مصير مؤلم لكل ما نفكر به وما نكتبه وما نذيعه على الناس ، اتعلم من اين استنتجت هذا المصير ، انني اعتقد ضرورة اشتراك السلطة الحكومية مع السلطة الروحية لتاقيح المجتمع بابرة الاصلاح ، انني اشك كثيراً ان نستطيع نحن الادباء احتلال مركز حكومي والاصلاح عن طريق هذا المركز .

كما اشك ايضاً امكان حمل الحكام واهل السلطات

على ملك القوى الروحية السامية التي يحملها الادباء ، لهذا ان لم تقم شركة تعاونية بين الفكر الحر والسلطة المتحررة لم تمكن من تأسيس صيدلية تهيء العلاجات الشافية لأمراض هذا المجتمع ، ارأيت كيف انني لا استطيع ان اكون اديباً على النحو الذي اريده .

انني اصطدم في كل ما اكتبه ، وما اعزم على نشره بحجرات كبيرة الحجم صلدة النوع ، وآسف كثيراً انها رؤوساً لرجال لا صخوراً ملقاة في الفلاة ، لقد فرض في اصحاب هذه الرؤوس التمرد والفوضوية ولم يقروا مرة واحدة بالغاية التي انشدها مما اكتب ، انهم حددوا الروحي حدوداً ان تخطيتها اهملوني ، وان حبست روحي بين جدرانها لم اتلذذ ولم اطمئن لوصول الغاية مما عزمت ان اوقف حياتي من اجله .

ان مجتمعنا هذا حاله ..

وان ادباءنا كشبكة الصياد تلقى لاجتذاب الشهرة

بالتفوق،لا لاجتذاب الغذاء والنفع العام بالتضحية .

انا اعداء بعضنا لانا لا نسير الى هدف واحد.

انا نحطم بعضنا خوفاً من ان نتزاحم باكثرية المريدين وأن يكون لغيرنا اكثر مما لنامن الشهرة .

ان اجسادنا تشغلنا اكثر من عقولنا !

ان اقدامنا تهمنا اكثر من غاية خطواتنا . . .

ان حالاً كهذه الحال يصعب على مثلي احتمالها وان يسمي نفسه بالرغم عنها اديباً . . .

ان الذي يريد ان يكون اديباً يجب ان يتسلح للانتاج الادبي باكبر كمية من الألم . . .

ان ينبوع الألم كل نفس مريضة . . .

ارأيت كيف ان الذين يعتصمون بالابراج العاجية اناس لا يستطيعون ان يتكلموا باسم الشعب .

انني استطيع ان اندمج بالشعب اندماج الفرد بالفرد . انني استطيع ان افرض على اي طبقة شعورا

باخائي لها، وميوعي فيها، وانني احب ما استطيعه، ولكن اتستطيع انت ان تمنع عنى حراب العيون وتحول بيني وبين احتقار من ينظرون بأبصارهم لا ببصائرهم.

إنني اريد ان اكون مسيحاً جديداً يصلب نفسه بالحطاطه لا بسموه ولكن اتستطيع ان توجدلي حواريين يحملون المشعل للهدف الذي سعيت اليه؟

ارأيت كم نحن نعاني في سبيل ما نريد!

ان كل خطوة الى الوراء تخلف في اعماقنا الماً ...

انك تريدني ان اكون طفلاً رضيعاً امتص الغذاء من ثدي الطبيعة...

انا ادرك رغبتك هذه بالرفض، ان الطبيعة بكاملها مهما سمت بجمالها لا تستطيع ان توحي إلي صورة رمزية شعرية كالتي يوحيها إلي منظر فقير بائس يستجدي الناس ويطوي في تمرجات وجهه وتموجات لحمه وقذارة شكله سهم الجاني الذي سدده اليه، فجمل منه

هذه البصقة على رصيف الحياة .

انني استطيع ان اسكر نفراً من الناس بحديث مع القمر ، ولكنني استطيع ان اسكر كل الناس بحديث مع هذا البائس المسكين .

انني اقصد اذ اتحدث مع هـذا البائس اصلاحه أو هداية ذوي السلطان الى ضرورة اصلاحه وإن ابسط طريقة لمعالجتـه أن اكون كالرسام بالالفاظ وكالأديب بالأسلوب وكالسياسي في النضال ، وكالحاكم في المنطق ، ارأيت انا لو استطعنا ان نكون مثل هذا الادب لاختصرنا كثيراً من الخطوات واستطعنا تكوين انفسنا تكويناً متيناً وجريئاً ؟! اني لهذا اريد ان اكون ولهذا اريد ان اوقف جهادي الادبي ، ولكنني لا اجـد ميداناً للعمل واظهار الفكرة ، انت تسألني علام لااملأ صفحات الجرائـد عقالاتي وكل اصحابها اصدقاء واحباء إليّ ، اتظنن الصحافة الاشركة يمكن ان تعيش وتتغذى الا على موائد الكراهية

لمثل هذا الاسلوب ، ان الصحفي الذى انشأ جريدته ليخسر ماله ويربح فكرته لم تهيؤه بلادنا بعد، فاين تريدني ان اجد متسعاً لما يرضي الحقيقة ويزعج الكفار بها؟ وتحاول ان ان تطلب مني في رسالتك السابقة ان ابدأ عملي الادبي بالقاء محاضرات على النحو الذي اريده فابشر لفكرتي من على المنبر . . .

هذا كلام جدير ان يبقى كلاماً فقد جربت في محاضرتين :

الاولى ضمت شعباً وسلطة ، والثانية ضمت شعباً بلا سلطة ، انني لا اتكلم لأحرض على الثورة فالجأ الى تحريك الضغائن واثارة الآلام انما اتكلم لأسمع مسؤولاً واحرك عاطفة حاكم وادفع الى العمل نشاط مقتدر فان انا تكلمت في الشعب اتهمت بالتحريض على العصيان وان انا اردت اسماع ذوي السلطان جوبهت بالمقاطعة والخزلان .

ان حال الأديب مؤسفة في بلادنا ...

لقد اصبحت اعتقد ان الذي يوقف نفسه للجهاد الأدبي ليس اكثر ربحاً من الذي ينذر نفسه للدير.

ان خلواتي بنفسي تحدثني ان اعمل، لذا لن يوقفني تيار، سأستمر استمرار المنتحر على تجرع السم لأنه خير لي ان اموت دون ما ارغب من ان اموت وانا اسعى الى ما لا ارغب.

انت تسألني كيف قررت ان ابشر لفكرتي !!

ان هذا السؤال اشغلني كثيراً فأنا لم افكر قط في ان اجعل لفكرتي برنامجاً ولخطواتي سلماً ولكنني الآن اصبحت افكر بذلك متأثراً بسؤالك.

حقيقة: كيف يمكنني ان ابلغ غايتي من الادب؟ انني سأجابه دون شك معضلات كثيرة.

انني سأندحر امام كثير من هذه المعضلات

اتراني املك قوة الايمان التي تثبت خطاي وتقوي

عزيمتي على الصبر ، انني اعتقد جازماً ان انفرادي في
هذا الميدان سوف يجعلني شيئاً مهملاً ، او انساناً غريباً ،
بل مالي لا اقول صراحة : انني ربما اهملت واهمل ادبي
وحوربت وحوربت كتبي وطوردت وطوردت
افكاري . . .

ارى لو كثر رفقائي في هذا الميدان ، وشركائي في
هذا الجهاد ، الا نستطيع ان نتوزع المسئولية وان نصل
الهدف دون ان نتعرض لأذى او اضطهاد .

ان اعداءنا ضعفاء لأنهم جهلاء ، كل الذين يعملون
لمحاربة العقل خاسرون ، ان العلم كالشمس والحق كالطبيعة
لا ينكرها انسان ولكن يخشاها كثيرون .

الذي يؤمن بنفسه يتغلب على خصمه .

الذي يسير غير هياب يفسح له الطريق الخائفون
الوجلون . . .

اعتقد انني الآن عرفت الاسس التي يجب ان

اسير عليها . . .

سأناضل ، سأجمع لنفسي اكبر عدد من الصحابة!

ان حملة المبادئ والمبشرين للاصلاح اعتمدوا على نفر واقتادوهم وبشروا وايام لما جاءوا به .

فلم لا نعمل نحن الأدباء على جمع الصحابة ويكون لنا نفر من المؤمنين عسى ان تتسع الدعوة ويكثر الانصار فنبلغ ما نريد؟!

انت تحدثني فيما كتبته إليّ ان الاديب الوجداني يجد تقديره بعد الموت ، هذا خلق من اخلاق الشرق وعادة من عاداته. انه صلب المسيح وشهر به على الصليب ثم قدسه والهه بعد ان مات .

انني لو رفعت الى السماء « بعد ان مت » للتكفير عن خطيئة الكفران بفكرتي لما اغناني ذلك عن ان اجد فكرتي تحتل المكانة التي اريدها لها وأن أرى مبدأي يناضل من اجله من آمنوا به.

انت تقول « ان الاديب الذي لا تدفعه الانانية الى النشاط لا يستطيع ان يؤمن بفكرته »

انا اخالفك في هذا كل المخالفة .

ان الايمان بالشخصية ليس شيئاً امام الايمان بالفكرة والهدف ، لأنه لا يمكن ان يوجد الايمان بضرورة بلوغ الهدف المعين قبل ان توجد الشخصية ، ولكن الويل لمن لا يدرك الفرق بين المؤمن بشخصيته والراغب لها كل شيء ، وبين المؤمن بفكرته كمثل اعلى وبشخصه كآلة لتحقيق هذا المثل الاعلى الذي يمده نوراً للجميع !!..

انني اتألم اذ اراني بعيداً عن اهدافي . . .

ان المي هذا لا يوحي الي القنوط واليأس . . .

الذين يخيفهم اخفاقهم لا يصلون الى ما يحبون ..

ارأيت انني اقاسي الماً فريداً !! . . .

انا اعرف جيداً ان غربتي في محيطي ، وتأخري دون ما بلغه سواي من رفعة وتقدير ، هما بسبب هذه

العناية بافكاري ، وهذا السعي وراء تحقيقها . . .

ان اصحاب المبادئ وعبدة المثل العليا وحدهم المتألمون والمتأخرون عن صفوف الزاحفين نحو السمو...

لن اعبأ بنصائح اياً كان . . .

ان الذي اعانيه ارضاني . . . فانا متحمل اوزاره وآلامه . . . بل انا ناعم باوزاره وآلامه . . .

لا يهمني ان اصل . . .

ولا يهمني ان يعرف احد انني سعيت . . .

الذي يهمني انني راض عن خطواتي . . .

وانني حاولت الوصول الى ما يرضي ضميري وما يوحي الي الاطمئنان . . .

لهذا ارى انك بعد اليوم لن تحدثني بهذا الذي حدثتني به اليوم . . .

لن تطلب الي ان احمل الطبل والزمر لأدعو الناس الي . . .

بل ستتركني وحدي اغمد الخناجر في جسدي
لأري الناس كيف تنفجر الدماء من اجساد المتألمين...
لماذا لا نكون مثل الظلام ... او مثل النور ...
ننتظر كلما اخفقنا ان نبعث من جديد ؟ ! ...
الذي يحلم هكذا بالنصر يبلغ النصر ...
بل ينقاد اليه النصر صاغراً ...
احفظ هذا عني ... وذكرني به ...
لا يهمني ان تراني مخفقاً فتشمت ...
الذي يهمني ان تراني متبدلاً فتسخر ! ! ..
السخرية اشد وقعاً من الشماتة ! ! ..
الشماتة مجلبة للاحتقار .. لأنها دليل الضعف ...
ولكن السخرية مجلبة للألم لأنها دليل القوة ...
ذكرني اذا تبدلت ... بل احتقرني اذا تغيرت...
انك مسؤول عن ذلك ما دمت ساهمت في معرفة
اهدافي ، ومراقبة خطواتي نحو ما استهدفت ..

١٠

ارى انني اصبحت اتشوق اليك .

كأنني لم اعد ارضى ان اظل اكتب من اجلك دون ان اراك . . .

انك اقدر عيون على الرؤية . . .

انا لا اقصد انك ترى دون ان تفهم . . .

فأنت تفهم ما تعرضه عليك الألوان . . .

ان الصور المجردة من الزخرفة صعب فهمها . . .

انني اصبحت اشعر انك تحسن دلالتي الى المواضيع التي يجدر البحث عنها في حياتي . . .

انت لا تهديني الى جديد . . بل تذكرني بمنسيات

مثل هذا الرفيق يستحق ان يكون صديقاً . . .

انا لا يهمني ان يكون لك غرض في ذلك . . .

الذي يهمني انك احسنت اسلوب اثارتي وتحبيبي بك . . . .

بل انك اضطررتني للشعور بضرورة ملازمتك لأتمكن من بحث نفسي . . .

انت اذ حدثتني عن نفسي كأديب استطعت ان تهديني الى برنامج لخطواتي نحو ما استهدف . . .

قد لا تكون اردت افادتي ، ولكنك اوصلتني اليها. هذا ايضاً عمل مشكور . . .

ليس كل الخير مقصوداً للخير . . .

كثيرة هي الاعمال التي يقوم بها الانسان لجلب الغنم الى نفسه فيحسن بلا عمد الى آخرين ، ربما كان هكذا ميلاد كل خير ؟!

كذلك كان شأنك معي في كل ما حدثتني به

وما دفعتني الى كتابته من اجلك . . .

انني لم ابخل في كل ما كتبته اليك بما تحب ان تراه فيّ . . .

لقد ظهرت لك عارياً ، وتركت لك الخيار في ان تجد ما تستطيع ان تجده من جمال وقبح . . .

فانا اذ أتعرى من الزخارف المادية ، لا استطيع ان أتعرى من الكساء الروحي . . .

ان الحقيقة دائماً تكسوني . . .

ولكنني دائماً معروض للناس دون ان آبه بآرائهم فيّ ، فللناس ان يجدوني كأس خمرة ، وللناس ان يجدوني صيدلية فيها علاجات ما في نفوسهم من امراض .

انك تحاول ان تصورني ، وان تجمل ادوات تصويرك ثلاث :

١ — علاقتي بنفسي . . .

٢ — علاقتي بالناس . . .

٣ — علاقتي بالفكر . . .

ان اي رسام فنان اذا اراد أن يرسم من وما شاء ،
لا يستطيع ان يتخذ لفنه ادوات غير هذه ! ! . .

ولكن استطيع ان ترسمني بهذه الادوات
كما انا ؟ ! . . .

ان الذين رسموني حتى الآن اوقفوني مدداً متفاوتة
الزمن لأعرف « من انا » ؟ ! . . .

اني ما ازال انتظر الرسام الذي يستطيع ان
يضعني امام معرفتي « كما انا » ؟ ! . . .

ان الألوان لا تهمني ابداً . . .

الرسامون يخفون بألوانهم كثيراً من طبيعة
البساطة المغرية .

لهذا افضل ان اشتم بالمعرفة من ان امدح بالجهل . . .

ان مبدأي هذا هو الذي جعل بيني و بين الناس
حدوداً . . .

ان مشهدي نائماً في مقهى يكثر فيه الحمالون والسرقة والحشاشون لا يرضيك ؟!..

انت تحدثني ان هؤلاء القرناء الذين اصطفيهم من عامة الشعب ، هم السبب في عزلي عن المحيط الذى خلقت له ...

انا لم اخلق لمحيط ..

انا لست لأحد ...

انا لست حتى لنفسي التي بها اعيش ...

انا للفكرة التي اخرج بها من طراز حياتي ...

انا للفكر الذي يستطيع ان يجردنى عن حياتى وجسدي !! ...

انت اذ تعيب عليّ ان اجالس رعاع الناس كأنك تقول انك لا تفهم الرعاع الا هكذا :

ثياب قذرة تطوي نفوساً قذرة ...

اخلاق منحطة تدفع نفوساً منحطة ..

عادات مبتذلة تظهر نفوساً متبذلة . . .

مناظر مقرفة تنطوي فيها نفوس مقرفة . . .

يحق لك ان تفهم الرعاع هكذا . . .

ولكنني اذا فهمتهم على هذا النحو كيف استطيع ان اكون المسيح الجديد الذي حدثتك عنه في رسالتي السابقة !! . . .

انا مدعوون لأن نقدم قرباناً لكل داء لنري الناس كيف يموت الذين يعانون هذا الداء ، واي واجب علينا تجاه هؤلاء المرضى . . .

نحن منذ قايين وهابيل نتحدث عن الجناية . . .

نحن منذ حواء نتحدث عن الشهوة . . .

نحن منذ آدم نتحدث عن العصيان . . .

نحن منذ ابليس نتحدث عن الكبرياء . . .

ولكن من منا قدم مثلاً حياً لمنع الجناية ، وايقاف تيار الشهوة ، والحيلولة دون العصيان ، وتحطيم عروش

الكبرياء ؟ ! . . .

اننا نتحدث شعراً ، ونكتب خيالاً ، ونؤرخ اساطير ، ونطلب من الجهل ان يتعظ ! ! . . .

لم يخرج منا حتى اليوم سكير عربيد يملأ الدنيا صراخاً ، ليفتح الآذان ، ويفجر الضمائر ، فيرشد الى هذه الجيوش التي تزحف الى الحانات لتقتل الداء بالداء لا لتشبع شهوة بشهوة . . .

الذي يتخيل الألم ليس الا شاعراً . . .

الذي يعاني الألم هو الذي يهدي الى العلاج ، ان لم يستطع حمله ! ! . . .

انت تدعوني الى ترك هذا المحيط الذي انا فيه وتقف الى جانب المجتمع في العتب عليّ . . .

انني لولا اخلاصك لما شككت انك عدو لدود للانسانية . بل عدو يريد ان يثنيني عن الينبوع الذي اعب منه خمرتي ! ! . . .

ان ساعة اقضيها الى جانب مومس تنقلني الى دنيا الرذيلة ، وتريني آفاقاً غريبة من جرائم البشر !! . . .

ان هؤلاء الذين نحتقرهم لانهم يعاشرون المومسات لانحتقر فيهم انحطاطهم الى هذا المستوى ، بل نخافهم . .

نخاف ان تصل مسامعهم الى جناياتنا ، الى مانقترفه باسم السلطة ، والجاه ، والثراء . . . والجمال . . .

ان الفضيحة هي التي مهدت السبل لاحتقار اصدقاء ضحايانا . .

ترى لولا أنني سمعت كثيرا من المومسات عن الشباك التى اوصلتهن الى هذه البؤرة (المحتقرة) اكنت استطيع ان اقول هذا الذي اقوله الان ؟

لم لم يقله احد قبلي ؟ !

لان واحدا لم يتبرع بسمعته ، ولم يتبرع بقلبه .

الذين يقذفون بسمعتهم ، ويسخرون بعواطفهم الشهوانية ليستخرجوا مثل هذه الحقائق قليلون جدا .

ونحن في حاجـة اليهم ، لنعرف من اين تحمل الينا
جراثيم الرذيلة .

اتعلم . . . ان الذي نعت المومس بالساقطة هو الذي
اكتشف حالها وما سيها قبلي . . .

انه اراد ان يصور جرائم عبّاد الجسد والكفار
بالروح بكلمة واحدة ، فكانت عنده (الساقطة)

ان الساقطات بحبائلكم لايستحقن الاحتقار . . .

لانهن بسبب جشعكم سقطن . . .

انكم مهما ترفعتم عنهن لاتستطيعون السمو عن
مستواهن . . .

اذ هل من شك في ان كلاً من القاتل والمقتول . . .
ميت . . ؟!

انت تقول ان الفقراء ، من حمالين ، وحشاشين ،
وسرقة يفقدوني المحيط الذي اجدر به ؟! . .

خير لي ان يفقدني من اجدر به ، من ان يفقدني

من يجب ان اكون له . . .

ان كل ثري يستطيع ان يكون في المستوى الذي يريده . . .

ولكن المستوى الذي يضم الفقراء، والبؤساء، ومرضى الاهمال، ايستطيع ان يبلغه الانسان كلما اراد، وبالسهولة التي يريدها ؟! . .

ان انانيتك تستطيع ان ترفعك الى اعلى المراتب... والوجاهات . . .

ولكنها تعجز ان تخفضك الى احط المراتب . قد تدفعك انانيتك لأن تجالس البؤساء ولكن لو سألت انانيتك عن السبب في اندفاعك الى هذا على غير عادتك لرأيت انك لا تندفع وراء شهوة الاصلاح، والمعرفة، بل وراء شهوة الشعور بالسمو عن بعض الخاليق!!...

ماذا تقول في انسان روسي قذف بنفسه وثروة فكره وعقله الى آخر قطب من اقطاب الدنيا المتجمدة

لا كتشاف بقعة ، ودراسة حال من احوال الدنيا ؟!..

اترى لو مات هذا الرجل في تلك الأرض ، ألا يستحق ان يقام له تمثال ؟!...

ان تلك الارض المجدبة من الحياة ليست اكثر شأناً من هذه النفوس المجدبة من الشعور بالحياة ؟!

لماذا لا نضحي بشخصياتنا وانانياتنا لنكتشف النفوس كما نضحي بكل شيء لنكتشف البقاع ؟!

ان ثروة كبيرة تنتظرنا هنالك... حيث اعتدنا ان نضحي لنربح...

ان نفساً واحدة تكتشفها لتهيئها للحياة يعدل اصلاحها ربح مقاطعة بأسرها تهيئها للاستثمار..

ان الحياة نفسها لولا النفوس التي عملت على احيائها لماتت..

ارأيت الى اي شيء استهدف في سياحاتي الى هذه النفوس ؟!...

اني اعيش مع المرضى كواحد منهم !

يراني من يراني بينهم فيحسبني مريضاً مثلهم، ولكن هيهات ان يعرف احد الثمر الذي اجنيه من اشجارهم المريضة ...

لا يمسك عالم نباتي بتفاحة فاسدة ويلقيها على الارض قبل ان يدرس الجراثيم والحشرات التي عملت على افسادها..

شأننا نحن الادباء في هذه الظلمة شأن هذا العالم النباتي مع هذه التفاحة الفاسدة . . .

اذا رأينا النفوس الفاسدة ملقاة في الحانات ، والمواخير ، والمقاهي وعرصات الارض المهملة ، فلم نشأ ان نمر بها خوفاً من ان يتسع داؤهـا ، ويعم فسادها كل النفوس .

ليس لدينا نحن الادباء مستشفيات لمثل هؤلاء المرضى الا نفوسنا وعواطفنا وشعورنا . . .

لهذا تطوعنا ان نكون قرابين على مذبح الانقاذ ، فسرنا الى تلك الظلمات لندرس طبائع تلك النفوس . .

الذي لا يستطيع ان يكون كما يريد لا يستطيع ان يصل الى ما يريد...

لقد كنا كما نريد... ونحن حاصلون على ما نريد...

فنحن اذ نشعر بقذارة اجسادنا، هكذا ايضاً نشعر بنقاوة ضمائرنا وارواحنا...

ان حياتنا كما تقول تمنعنا عن ان نتبوأ ما نستحقه من التقدير...

لهؤلاء الذين يحتقروننا، ويقصوننا عن مجتمعاتهم نحن نعمل...

يكفي اننا نجني من كل جولاتنا الاستكشافية فكرة تستطيع ان تدخل نفوسهم!...

بعد ان تحتل فكرتنا مكاناً من اعماقهم لا يهمنا ان ترجع الينا ملطخة باحتقارهم، او مخضبة بتقديرهم واعجابهم...

الطبيب عندما يضع الابرة في شريان المريض لا يتوقع له الا الشفاء ولكن لا يهمه ان تفيض روح المريض

بعد حقنه . . .

انه قام بواجبه . . . وللطبيعة ان تقـوم بواجبها . . .

ونحن . . . نحن ايضاً ايها الصديق ، نقوم بواجبنا . .

وللطبيعة ان تقوم بواجبها . . .

انك تحملني على الاعتراف بمـا اشعر به في مجالسة هؤلاء . . .

لن اقول لك ماقاله المسيح للحواريين يوم لاموه لمجالسته المشارين ، واكله معهم بل سأقول لك ماقاله الاديب التركي رفيق رضا لمن لاموه :

اذا لم احترق انا ، ولم تحترق انت ، ولم يحترق هو ، فمن اين نخرج لهذه الظلمات نوراً ؟ ! . .

قد لايرضيك ان اقول لك هذا ، فانت تحلم في ان احدثك عن الملي الذي يولد في مثل هذا المحيط . . .

والملي هـذا كنز لاضن بسواه . . . وليس اكرم مني بمخلفاته . . .

كفّ عن سؤالك، لأتحدث اليك في رسالتي القادمة عن علاقتي بالناس ... بعد ان حدثتك اليوم عن علاقتي بنفسي . . . فالى اللقاء . . .

١١

حدثتك في رسالتي السابقة عن علاقتي بنفسي اما اليوم فأحدثك عن علاقتي بالناس . .

لن اردد لك الآية الكريمة التي تقول :

قل اعوذ برب الناس . . .

فان الناس هنا في مرآتي غيرهم اولئك الذين يستعاذ بالله منهم .

أنا اعلم انني لن ارضي الناس فيما سأصارحهم به . . .

فالناس يتقبلون منك ان تشتمهم ، ولكنهم لا يتقبلون منك ان تعلن هذه الشتيمة . . .

انهم ينسون كل اساءة لفظية لا تتصل بمسامع سواهم

ولكنهم لا يغفرونها اذ احاط بها علم الناس ؟! . . .

انا نعيش لسوانا . . . لهذا نحرص على ان تكون مقاييسنا ، وموازيننا في المسامع والعيون والألسنة ، لا في الأرواح والضمائر والوجدان . . .

انت تعلم انني لا اكتب للناس . . . بل اكتب لنفسي . . .

الذي نفسه الناس . . . لا يخشى ان يتحدث اليها بما يريد . . .

لهذا ستكون هذه الرسالة فضيحة بالنسبة لمن يتسترون بأكفهم عن عيون الرقباء . . .

قلت لك . . واقول . . . لأنني ابداً لا انسى ما اقول . . .

انا الوحيد الذي حياته سلسلة من حلقات لا يستطيع ان يهمل واحدة قبل ان تتجزأ السلسلة وتفقد روعتها . . .

ان كل شيء في حياتي له اثر في تكويني . . .

حتى ما اقوله . . . بل الذى اقوله هو كل حياتى . . . لأنني اعيش لا تكلم . . . لهذا انا احرص على ان تظل هذه السلسلة مترابطة الحلقات . . . يمر عليها الزمن فتدخر منه ، تزيدها الأيام ، ولا يصدؤها القدم ! . . .

قلت لك :

انني اعيش في عالم علوي لا اشعر فيه بجسدي ، بل بروحي التي تحدثني مسرفة واصغي اليها مسرفاً . حتى يخالني من يشاهدني غارقاً في التأمل : مجنوناً ذاهلاً عن حقائق الوجود ! ! . . .

هـذا ما قلته لك في رسالتي الاولى ، عد اليه تذكره . . .

لو انني طويت قلمي هنا ، لكفيتك ما تريد معرفته عن علاقتي بالناس .

ولكنني اذ قلت لك في رسالتي الرابعة :

« . . . وهذا الانفصال بين الظاهر والباطن

في تأثيرهما لتكوين النفس لا يمنع ان يكون لحالهما سبباً وجب علي ان احدثك عن هذا السبب . . .

ان الاديب يعيش كما قلت لك في شخصين واحد لنفسه . . . وآخر لمجتمعه . . . »

الشخصية التي يوقفها لنفسه هي المعمل الذي يخرج منه مصهوراً في انتاج ، فيعيش في احلام دنياه الخالدة والشخصية التي يوقفها للمجتمع هي التي يتوزعها الناس بين انتاجه وجسده بل التي يتوزعها هو بين الناس وجسده .

انت تحاول في احدى رسائلك ان تقنعني بان الانسان اجتماعي بالفطرة ، لا يستطيع ان ينفصل عن الناس . . . فهو مضطر لاحتمال اساليب شتى من طراز تفكيرهم وحياتهم .

ان انساناً يريد ان يعيش للحياة وحدها لا صفاة له الا الصفات التي ذكرتها . . .

اما الانسان الذي عرف غاية الحياة منه فهو غيره الذي عنيته . . .

انني منذ ان قررت تبني الفكر ، وامتهان الأدب ، قررت ان اعيش كما اريد لا كما يريد المحيط . . .

انا نخطىء كثيراً إذ نظن العادات ، والتقاليد ، والانظمة الاجتماعيـة ، وبرامج المحيط ، دستوراً لايقبل التبـدل ! ! . . .

احقر الناس قـد تتهيأ له فرصة معاكسة اتجاه اي نظام تقليدي او اجتماعي . . .

ان لكل شيء نظام . . . الا الروح . . . متي عرفتم من اين تؤتى ارواحكم الحياة وكيف يتكون في اعماقكم الشعور ، وكيف تخرج من حسكم الحكمة ، عرفتم انكم خاضعون لنظام لايتبدل . . .

ان ينابيع غذاء الروح لايمكن ان تعد .

وانظمة الفكر ، وانظمة الحياة هكـذا ايضاً

الذي يعيش ليأكل له نظام . . .

والذي يأكل ليعيش لا نظام له . . .

الذي يتكلم ليحيا له نظام . . .

والذي يحيا ليتكلم لا نظام له . . .

الانسان الذي يسرق سواه . . . يعيش في الحدود والنظام . . .

اما الانسان الذي يغذي سواه من احشائه فلا حدود ، ولا نظام له . . .

الانسان الاجتماعي . . . ليس ذلك الذي حدوده العائلة والاخلاص

الانسان الاجتماعي . . . ، هو الذي حدوده الارض والسعادة الشاملة ! ! . . .

الناس فوانيس . . . الى هدف . . .

ابعدنا عن الناس اقربنا اليهم . .

من اجل الناس نتكلم ونحيا . . .

فلا يجب ان يشوهوا حريتنا بفرض انظمتهم وحدودهم علينا . . .

نحن بينهم غرباء . . .

نراهم . . نشعر بوجودهم . . ولكن لا يهمنا ان نراهم . . . ولا ان نشعر بوجودهم . .

كثيراً ما نمر بحشد من الناس فما نقف . . .

نحن لا تستوقفنا كتل لحمية . . . لها ارواح . .

نحن تستوقفنا كتل روحية . . . لها اجساد . . .

هكذا الناس . . . هكذا الناس . . .

ما يشغل الناس لا يشغلنا . . .

انا اذ نشغل الناس ، لا نعبأ بانشغالهم ! ! . . .

ماذا يهمنا ان يشعروا بوجودنا . . . مادمنا لا نشعر بوجودهم . . .

انا احب الناس بهم . . . اذ نكون مبغضين لهم !

لسنا بعيدين عن آلامهم . . . بل هم آلامنا .

لسنا شعراء نظم لهم المسليات . . . في قريض

نحن مسليات . . . ينظمون منا الحكمة . . . في

استرسال واصغاء . . .

لسنا خمرة نذهب عنهم السأم . . في تفرغ ! !

نحن اقداح نحمل لهم السأم . . . في انشغال ! !

حياتهم لاتشغلنا . . المهم يقض مضاجعنا مغرياتهم

لاتشهينا . . . معالجتهم تضنينا . . .

نحن لهم . . . من اجلهم . . . دون ان نعترف

بوجودهم . . .

لايهمنا ان يعترفوا بوجودنا . . . ولكنهم مضطرون

لهذا . . .

الذي يستهدف النور . . . لايهمه ان يعرفه

النور . . . بل كل مايشغله اكتشافه مصادر الأنوار . . .

تقول ان الانسان يعيش بغرائزه ، باخلاصه ،

بعلاقاته مع الناس ؟! . . .

هذا انسان عادي . . .

الانســان القوى هو الذي يعلن استقلاله عن الناس ! ! . . .

اقوى الناس من لا يعترف بالاخـلاص ، والشرف والمروءة ، والحب ، والاحسان . . .

ان مصـدر القوة في هذا الترفع عن الاضداد . . .

الذي لا يعرف الضعف . . . لا يعرف القوة .

الذي لا يعرف الذل . . . لا يعرف الفخر هذا هو الانســان . . .

ان دولاب الحياة يسير لنفسه . . .

كل ما يختال به الانسان عجباً من خير او شر هو من صنعه . . .

لم يصنع الانسان حتى الآن عاطفة او آلة الا لاتقاء شر اخيه الانسان .

لو اننا نعيش لبعضنا . . . نفكر لبعضنا . . .

اذن لما شعرنا بحاجتنا الى هـذه المصطلحات التي نخفي بها استثمارنا بعضنا . . .

غالب ومغلوب كل من في الحياة . . .

مُستثمِرٌ و مُستثمَرٌ كل من في الحياة . . .

الذين عرفوا هذه الحقائق تجلوا منهـا ، فنعتوها بالاخلاص والحب ، والتعاون . الذين لم تخجلهم هذه المعرفة نعتوها بالقوة ، والغلبة ، والنصر . . .

مثل هذه الحياة لا يغريني الاندماج بابنائها . . .

الذي صلاته تفـكيره بتحقيق هدفه لا تشغله اية صـلاة . . .

هؤلاء الذين يجلسون على التقاليد ليسوا ارفع من المقاعد التي تحملهم . . .

انهم مثلها يصمدون في وجه الفناء الى ان يتغلب عليهـم . . .

المقاعد تقدم للنار وقوداً . . .

وهم يقدمون للديدان غذاء . . .

الذين يعتصمون ببروجهم العاجية ، لتحمل اليهم الافكار ، فيلقونها عقوداً ماسية منضدة بالالفاظ ليسوا اكثر صموداً امام الفناء من هذه العقود الماسية .

هذه العقود لا تجرؤ على دخول القلوب وان زينت الصدور . . . والاعناق . . . وهذه الافكار لا تجرؤ على دخول القلوب وان زينت الألسنة . . . والمكاتب !!...

في اي شيء تريدني ان اشترك مع الناس في تشريح جسد مريضنا الاجتماعي ؟! . . .

ان عددهم للتشريح غير عددي ؟! . . .

انهم قبل ان يرتدوا ثوب العملية الجراحية يقرعون الطبول ليعرفهم الناس . . .

ان الطبول كثيراً ما جمعت الناس ، فأثاروا الغرور وبعثوا الشعور بالاكتفاء ، فما تنجح العملية . . .

انا اكره الطبول . . . لأنني اكره الغرور . . .

انا اكره الشتاء . . لأنني اكره الاكتفاء . . .

انا احب العمل في جو من الهدوء . . .

بعيداً عن كل الناس . . .

بعيداً عن كل المغريات . . .

الا عن المعين الذي يغذيني . . .

عن الذين اعمل من اجلهم . . .

عن الذين احولهم الى افكار . . .

الى الذين اصهر اجسادهم في كلام . . .

الى الذين اذا تركوني وجدوني بينهم موتاً يبعث الحياة . . . وألماً يفجر السعادة وغائباً يشعر بالوجود . .

حاولت مرة ان تقنعني ان العزلة الروحية لا تبعد الانسان عن الحقائق المادية . . .

لقد اهملت الاجابة في كل رسائلي السابقة على هذه الفكرة .

انني اريدان يكون لكلامي الظرف المناسب ليأخذ

مـكانه من المنطق والصواب . . .

انك لو اخذت بعض كلامي من المكان الذي وضعته فيه قد لا تجد له المعنى والهدف الذي وضعته له . . .

لو انني اجبتك في رسالة سابقة على فكرتك هذه لأضعت الهدف ، والفائدة من الاجابة . . .

لقد مضى الزمن الذي يرفع القصيدة بيت من الشعر حلق به واضعه . . .

نحن اليوم امام ذوق ادبي جديد . . . ينظر للغاية من القصيدة ، ولوحدة الفكرة ، اكثر من جمال الكلمات وعذوبة الموسيقى ! !

ان الذوق الأدبي اصبح يتقبل جيداً ان تكتب له جملة واحدة تتضمن رأياً واحداً ، وهو لا يبخل عليك بالتقدير ، ولا يحكم عليك بالعجز . . .

ارأيت انني على حق في ان اهمل الرد على تلك الفكرة ، وان ارجع اليها اليوم ؟ !

نعم ان العزلة الروحية لا تبعد المرء عن الحقائق المادية . . .

ان اديباً واحداً في الارض ، مهما سمت روحه وترفعت نفسه عن المادية لايستطيع ان يقول غير الذي قلته انت . . .

المادة حقيقة واقعة لا مفر منها . . .

اقوى العوامل على تهديم كيان كثير من الأمم ، فضلاً عن الافراد افراطهم في احتقار المادة ، واسترسالهم الى حد الوهم في تأليه الروح .

انا لست من الذين مع هؤلاء . . .

انا اقول ان المادية يجب الأ تتحكم بالمرء حتى تجعله واحداً من الناس الماديين . . .

واذا قلت هذا اعني :

ان الانسان الذي يحتقر المادية يجب الا يرجع كل شيء مادي الى اصل روحي . . .

بالرغم من هذين الرأيين لا نستطيع ابداً ان ننكر وجود شكلين لكل شيء . .

شكل روحي وشكل مادي . . .

فالحب مثلاً يمكن ان يكون مادياً وروحياً ، والاخلاص ، والبغض يمكن ان يكونا كذلك ايضاً اما ان يقال ان الحب مصدره الروح ، ولا علاقة له البتة بالمادة فهذا ما لا يمكن اقراره . .

يجب ان تقر معترفين ان الحب وكل العواطف والملكات الروحية نتيجة لضعف . . .

قد تقر معي ان الجمال على ما يتمتع به ، من صفات روحية ، وما يوحيه من ملكات روحية لا يبعد ان يكون شيئاً مادياً . . .

ان الجمال ليس حساً ، وليس عاطفة . . . بل هو شكل . . او تناسب في اعضاء او الوان او حواس !!...

اذن الجمال مجموعه ماديات تكون جاذبية هي

المادية بعينها . . .

وما يقـال في الجمال الذي هو اصل الحب هكذا
يقال في الحب الذي هو ذيل الجمال ! . . .

انك قد لا توافقني في هذا ،

بل قد تحتج فتقول ان الحب نتيجةشعور ،واندفاع
وقد تذهب الى ابعـد من هذا فتقول ان الحب نتيجته
عاطفة سامية تشعر بضرورة الائتلاف مع انسان آخر ،
تحصل بينهما الوحدةالروحية، والتفاهمالفكرى ، فيشعران
بالهدف الواحد !

وانت ان قلت هذا ، قررت معي ايضاً ان هـذا
النحو من الحب معناه المصلحة الموحدة في التعاون المتحد،
للهدف الواحد . . .

انك كنت على حق اذ قلت ان العزلة الروحيـة
لا تبعد الانسان عن الحقيقة المادية . . .

متى رأيت انساناً لا يتحرك شوقه للجمال احتقره...

متى رأيت إنساناً لا ينجذب بالشهوة اهمله . . .

ان انساناً لا يعرف الجمال ، ولا يعرف الشهوة هو انسان ناقص دون شك !

كما قررنا هذا . . . اقراراً بالواقع الملموس ، يجب علينا ان نقرر ايضاً ما يلي :

متى رأيت انساناً سجين الجمال ، اسير الوله ، مجنوناً بشخص حسن احتقره . . .

متى رأيت انساناً شهوانياً ، يصرف قوته الفكرية والجسدية بلا حد ولا ميزان اهمله .

ان انساناً يغل عقله وتفكيره بانسان واحد ، او يهدر صحته واعصابه في سبيل شهوة واحدة ، هو انسان ناقص دون شك !! . . .

ان كل جمال مغرٍ

وان كل شهوة مشوقة

ولكن ليس كل متحرر من الجمال معجب به

ناقصاً . . .

وليس كل متحرر من الشهوة حاكمها متصرف بها باتزان ناقصاً ايضاً . . .

لقد ستر المرضى بالحب نقصهم باسم الحب . . .

ولم يستطع المرضى بالشهوة ستر نقصهم فسفهوا . . .

ارأيت كيف ان الحقائق الروحيه كثيراً ما اخذت من الحقائق الماديه ؟

ان سموك الى آفاق الروح لا يحول دون اقرارك بحقائق المادة . . .

ولكن الذين تشغلهم الاجساد .. يكتشفون ما فيها من مغريات . . .

فمن الجمال اكتشفوا الحب . . .

ومن القبح اكتشفوا البغض . . .

انا احب الجمال . . . افتش عنه . . .

ابغض القبح .. اتهرب منه . . .

ولكن ذلك كله لا يشغلني الا دقائق . . .

انه يشغل جسدي . . . لذتي . . . شهوتي . . .

لقد توزعتُ الحياة . . . فأجدت التوزع . . .

اعطيت الجسد . . . جسداً . . .

واعطيت الروح . . . روحاً . . .

انا لا اربأ بنفسي ان تنهل ما شاءت مما تحب .

ولكنني اربأ بروحي ان تقيد . . . عما يُحب او ما لا يُحب . . .

لست انانياً فيشغلني الحب . . .

لست ضعيفاً فيغلني الجمال . . .

انا شهواني . . . اعبد اللذة . . .

ولكنني لست انانياً احتكرها . . .

ان الذي هيأ نفسه ليشغلني بخلوته ما زال يبحث عن نفسه . . .

ان خلوتي بنفسي لا تتسع الا للأرواح . . .

ان الطرف المادي من كل عاطفة لا يشغلني الا بقدر ما يشغل الطعام من فراغ المعدة . . .

هذا الطرف بل هذا النوع هو الذي يربط مابيني وبين ابناء هذه الحياة . . .

لقد فرغت من بسط علاقتي مع الناس . . .

افتراني استطيع ان افرغ في رسالتي القادمة من بسط ما بيني وبين الفكر من علاقة .

سأحاول ذلك وارجوان يكون هيءلك من بعدها مايشغلني ويبعث فيّ شهوة الكتابة في موضوع جديد ! . .

١٢

تذكر انني وعدتك ان اتحدث اليك عن علاقتي بالفكر . . .

لعلها اول مرة أعد بأن اقوم بعمل . . .

انا حتى اليوم ما برزت بوعد لأحد ! . . .

انني لم ارتبط بميثاق ، ولا وقفت دقيقة من حياتي لأحد . . .

انني لا املك وقتي

انا لا اعرف اي دقيقة من دقائق عمري القادمة ستكون ملكي . . .

ربما هاجني عمل فكري اشغلني عنك ، وعن اي

من الناس وعدته بعمل ما . .

انني لا افضل ايا كان على اي من الاعمال الفكرية التي اندفع اليها . .

ان وثبات الفكر خاضعة لوثبات الروح . . .

كثيراً ما استرسل في الاحلام وانا بين جمع يسمرون . . .

انسى انني بينهم ، وانسى انني استمع اليهم بل كثيراً ما اتناول كتاباً لأقرأ لهم فاسترسل مع خيالي ، واغرق في بحث موضوع كنت احب لو يخلو لي الجو فأكتبه . .

انني اكتبه بخيالي ، والقيه بفكري ، ولساني ما يزال يقرأ ما في الكتاب . . فيفهم الناس ما يسمعون ، واضل عما فهموه بما انشغل به . . .

مثل هذه الحال لاتدفع صاحبها الى الايمان بمواعيده . . لهذا يتخلص من المواعيد . . .

انا لا املك ان اكون قابلا للسمر في ساعات قد

اعدك ان اسمر معك فيها فاذا اخذتني الى اجمل حديقة ، وجمعتني بأجمل غانية ، وقدمت الي اشهى المشروبات والمأكولات ، لم تظفر مني الا بابتسامة التكلف التي تخرج من اعماق السكوت والوجوم . . .

لهذا عجبت اذ قطعت لك عهداً بأن اكتب اليك ، وان اكتب اليك في شيء محدود معلوم الموضوع . . .

انا حينما اكتب لا اتكلف ان استحضر الموضوع او الفكرة . . .

انا اجلس الى منضدتي ، واغرق بين اوراقي البيضاء ، والعب القلم كثيراً بين فكيّ ، وارسل ذاكرتي الى ناحية من نواحي المدينة فتعود لي بنبأ ، او وجه ، او حادث فأكتب . . .

اما اليوم فأنا مكلف ان اكتب اليك في موضوع محدود معلوم هو الفكر وعلاقتي به ؟! . . .

وماذا استطيع ن احدثك عن الفكر ؟!

اني اما ان احدثك عن الفكر الذي يدور على السنة الناس . . . من قادة الفكر . . . او ان احدثك عن الفكر الذي يحلم به الأديب . . .

الحق اقول لك اني لم اعترف حتى اليوم ان المكتبة العربية تستطيع ان تستبقي كتاباً يصلح ان يكون رمزاً للفكر العربي . . .

ولا كتاباً واحداً نحن لا نملك منذ فجر نهضتنا حتى اليوم ! ! . . .

انا نستطيع ان نفخر بكتب تصلح ان تكون قواميس لغة والفاظ ، وكتب سمر ولهو . . .

وقد نستطيع ان نفخر بوجود بعض كتب العلم كالفقه والحديث والنحو . . .

وان غلونا في الفخر ، فاننا قد نقدر ان نفخر بوجود متحف ادبي علمي يضم خير ما يجدر بالمتاحف ان تضم للفرجة لا للتناول.

ان الشعر العربي ، والنثر العربي ، ليسا اكثر من مدائح ، ومهاجاة ، واحاديث يراد بها ارضاء اصحاب السلطة الدنيوية او الدينية . . .

حتى اليوم لم أعثر على شعر يمثل طبقة من الطبقات الشعبية في اي عصر من عصور الفكر في التاريخ العربي . . .

اين شكاوى البائسين ، والمسلوبين الذين كانوا يخضعون لرؤساء العشائر ، وأمراء القبائل ، والملوك ؟!

اين شعر الارقاء ، من رجال ونساء واين شكاويهم وحبهم للانعتاق ؟! . . .

ان الفكر العربي لابد ان يكون انتج من هذا مالم يصل الى متناول ايدينا ، بل ماضن اصحاب الغايات ان يصل الى ايدينا . . .

ان حقيقة الفكر العربي لم تظهر بعد . . .

ان العرب اصبحوا يعرفون عن ارباب الفرس واليونان ، وعبادات من سبقوا المسيح بآلاف السنين ،

وليس في العرب من يعرف عن اللات والعزى اكثر مما جاء عنهما في القرآن ؟ . . .

ان كثيراً من آلهة المصريين تجددت حياتهم ، وبعثت اجسادهم ، وكشفت طلاسمهم ، وليس بين ايدينا نذر يسير عن اله عربي واحد كان يعبد في الجاهلية لنعرف كيف كان يعبد ذلك الاله ، واي شعور كان يغمر عابديه ، ومدى الايمان الذي كان يندفع به المؤمنون

لم يتبدل شيء منذ التاريخ الاول في عادة العرب .

العرب جبناء امام الفكر ، اقوياء امام الموت . . .

العربي يستطيع ان يجابه الليث ، وان يصمد امام صراع اضخم الثيران ، ولكنه لا يستطيع ان يثبت امام بيت من الشعر يقال فيه ، او امام قصة لا تلائم ذوقه ، ولا تتفق مع ميله .

حتى يومنا هذا يعاني قادة الفكر الامرين من جراء مخلفات هذا الضعف . . .

حتى هذا اليوم يخاف العربي ان يمس دينه بكلمة ، او ان يمس تقاليده بنقد ، او ان تطول يد الى عاطفته فتجرحها .

لهذا ينظر الى قادة الفكر في حذر ، ويراقب وثبات الارواح في حرص ، ويحاسب على الصغيرة والكبيرة من الافكار المتطرفة . . .

ان خزائن رجل الفكر في بلادنا ممتلئة بما لا يستطيع ان يقرأه على غير نفسه

ان قصائد كثيرة تصور ابعد ما يستطيع شعور صادق ان يتصوره في اللذة او الشهوة او الجسد ، ماتزال مطوية في مكاتب اصحابها لانها تخالف الآداب ، وتعرض الاخلاق الانهيار . .

وان مقالات وقصائد واقاصيصاً كثيرة مطوية في خزائن واضعيها ، كلها تمثل نواحي كثيرة من الانحطاط السياسي ، او الاجتماعي في البلاد ، يخشى اصحابها إن

نشروها ان يمسهم بسوء من بيدهم السلطة .

ان الدين حتى اليوم عاجز عن حماية نفسه ، والاخلاق حتى اليوم عاجزة عن حماية نفسها ، واصحاب السلطان حتى اليوم عاجزون عن فرض مهابتهم عن طريق المحبة ، وادعياء الوطنية والقومية حتى اليوم يخافون تيارات التطور الفكري في الاذكياء .

لهذا يغل الفكر ويسجن ، ويقام القانون حارساً عليه ، لئلا ينفلت من اغلاله ويعيث في اصحاب المصالح فساداً . .

من هنا نشأ عندنا ادب منتن هزيل ، وادباء منتنون هزيلون .

هكذا اصبحنا لا نرى في الميدان الا الذين يعبدون انفسهم . .

قليلون هم الذين يضحون بسعادتهم في سبيل افكارهم . .

انا لا احدثك عن اولئك الذين تقوى فيهم ملكة الخيال ، فتفقدهم رجولتهم امام الحقائق المادية . . .

انا لا احدثك عن اولئك الذين اصبحو اغرباء عن الواقع لانهم سكنوا العالم الوهمي ، ولم يعد لهم انتاج الا من ندى ذلك العالم الوهمي . . .

انا لا احدثك عن هؤلاء الذين اصبحوا كالأطفال امام حواجز التفوق ، والتكون ؛ بل احدثك عن الذين ارادوا انفسهم قرابين في سبيل افكارهم ، وضحايا في سبيل مبادئهم ، واطباء لشعبهم يلقحونه بدمهم ، ويغذونه بحياتهم ! !

هؤلاء هم الذين احدثك عنهم . . .

وهؤلاء هم الذين نفتقدهم في الليلة الظلماء فما نجد انوارهم . . .

تسألني عن الفكر ، وكيف احدثك عن الفكر وحاله كما ذكرت ؟ ! . .

ان الاديب الاجتماعي المصلح ، اصبح يفتش عن موضوع يكتبه ، كما يفتش الفقير الجائع عن لقمة يسد بها رمقه ! ! . . .

ان مواضيع الحياة كثيرة . . . وكلها تصلح ان تكون شاغلا للفكر . . .

ولكن من ذا الذي يجسر ان يتناولها في بحث ، او ان يتعهدها بعناية . . .

ان الذي يرى الاغلال تنتظره لاشك انه يختار الطريق المنقذة منها ! ! . . . .

لم نعد نخاف الاغلال . . .

بل اصبحنا نخاف ماهو اشق من الاغلال .

لقد اقام كل ثري ، او وجيه ، او متنفذ نفسه مقام السلطة والحكومة في مراقبة رجال الفكر . . .

الذين يملكون قيمة ما نكتب لا يروق لهم ما نكتب . . .

والذين لا يملكون قيمة ما نكتب لا يستطيعون تشجيعنا على ان نكتب . . .

ارأيت كيف اننا نعاني من هذا الفكر ما لا يعانيه السجين البريء من الم الصبر على كره .

اني كلما دخلت ناديا ، او مقهى ، اجد اناسا يعبثون في الالم ، ويثيرون في الحقد . . .

ارى السنة تدور بآراء ، وافكار ، لو نشرت لكانت علاجات شافية لما نعانيه من امراض . . .

ان هذا الجدل ، وهذه الافكار تموج مع النسيم ولا تلبث ان تحط رحالها مع الندى على الزهور . . .

لو اننا تعهدناها لأينعت ، بل لأعطتنا خير الورود ، واعطر الزهور . . .

لكن الاهمال يبخرها ، ويلاشيها في قلب الاثير فما تفيد ولا يستفيد منها اصحابها الا افراغ هذا الالم الذي يعانونه . . .

ان الافكار حمل ثقيل على الروح . . .

الذين يفرغونها في احاديث ، يتخلصون من اعبائها دون ان يستثمروها ! !

انهم يعلنون عن استعداد ، ولكنهم يفضحون ما هم عليه من خوف . . .

كثيراً ما فكرت ان اجمع هؤلاء الذين يفكرون لأجعل منهم قوة . . .

القوة هي صاحبة الحق في محيط كهذا المحيط الذي نعيش فيه . . .

ان طلقات المدفع تساوي عند كثيرين كل ما قاله احكم حكيم . . .

لهذا اردت ان الجأ الي القوة فأسلح بها الفكر ، ليتمكن من فرض نفسه على الحياة ؟ ! .

ولكن ايستطيع الفكر ان يتكتل ليؤلف القوة ، وهو الفوضوي الذي لا يتألف حتى مع جسده ؟ ! . . .

ان صاحبه لا يملك حق توجيهه او اخضاعه للمواقيت ، فكيف يستطيع غيره توجيهه واخضاعه للمواقيت ؟! . . .

حاولت ان احرض الذين اعيش من اجلهم بفكري على سماع مايقال عنهم . . . على مايبسط من العلاجات لهم . . . على تعويدهم ان يقدروا الذين يناضلون في سبيلهم ، على الاقرار بجهد الذين اوقفوا حياتهم لانقاذهم . .

ولكن ايرضى الجهل ان يعوّد صاحبه غير ما اعتاد ان يدخل بواسطته السآمة الى نفسه .

ان الذين نعمل من اجلهم جهلاء . . . اميين لا يستطيعون ان يفهموا مانقول . . .

ارأيت ان حال الفكر في بلادنا جد مؤلمة ، وان صاحب الفكر جد مضطهد بعقله ومعرفته ، وطموحه ؟ . . .

لقد حاولت ان اعرف كيف يعيش هؤلاء الذين هم عائشون بأدبهم ؟! . . .

انني لم اخجل من اخفاقي حينما حاولت معرفة ذلك . . .

لانني عرفت اخيراً انهم لا يعيشون بادبهم . . .
وانما يعيش ادبهم بهم ! !

انهم ليسوا ادباء . . . لانهم ليسوا اصحاب فكر ،
ولا مبدأ ، ولا غاية اجتماعية يسمون اليها . . .

انهم اصحاب اقلام . . . انهم اصحاب اساليب ، انهم
مالكوا قرطاس . . . انهم حكام مطامع ، انهم اصحاب
مراتب ومناصب وشهادات . . .

انهم اوثان . . لهذا هم يجدون الوثنيين من القراء
فيكونون لهم ادباً كله لغو ، وحشو . . . وكلام . . .

ان اذواقنا الادبية في مفترق الطريق . . .

ان الفكر امام الهاوية . . .

نستطيع ان نركله فيقع ويموت . . .

ونستطيع ان ننقذه فيحيا ويفيد . . .

انني وان هويت سأفكر ، وانتج في الهاوية . . .

انا لا يهمني ان اعلن ما افكر . . .

انا لا يهمني ان يقرأ او أن لا تقرأ ما انتجه . . .

انا اشعر انني احمل عبئاً ثقيلاً يجب ان اتخلص منه . . .

هذا العبء افرغه في فكر . . .

سأظل افرغه الى ان القي هذا العبء عن كاهلي . واحمله الذين يسألون عن انارة القلوب كما يسألون عن انارة الطرقات ؟! . . .

هكذا . . . هكذا . . . والى ان يتربع الفكر عرشه سأظل اكافح ، . . . ولو وحدي . . .

ان الانفراد عزلة تبعث وحياً اقوي . . .

لهذا سأنفرد . . . واناضل الى ان يحيا الفكر . . . ويبلغ رسالته . . . فيفيد ويستفيد . . .

١٣

— او ما ترحب بي

— روحي كالطبيعة تحتوي بلا ترحيب

— او ما تشوقت الي ؟!

— من انت

— انا الذي ناشدته ان يحضر

— وقد بت اناشده ان يغيب . .

— اراك لا تستقر على رأي

— انا احب . . . الى ان اكره . . .

— لهذا أنت على ما انت ؟

— بل لهذا آنا كاره ما ابلغه . . .

= فماذا انت صانع بي ؟

— ممتص بقاياك . . .

— الى ان اصبح ماذا ؟

— الى ان تصبح احرفاً في كتاب الذاكرة

— ثم ماذا ؟

— ثم القيك جسداً لا تستحق العناية !

— ولكنني نتاجك . . .

— واولادي نتاجي . . . وهم مثلك . . .

— ولكنهم ابناؤك على كل حال

— في عرف الناموس . . .

— وفي عرفك ؟

— نتاج جهد . . .

— نتاج الجهد جزء من الروح . .

— حتى املك الروح . . . املك نتاجي . .

— انت لا شخصية لك !

— لأن كل شخص مرآتي . . .

— هذا خيال . . .

— كل حي في نظري خيال . . .

— فأين الحقيقة ؟ . . .

— في نتاج الخيال . . .

— من يحمل حصادك . .

— الطبيعة ان تزوجت . . والأرواح ان كتبت . . .

— فماذا تستفيد . . .

— اللذة من جهاد الجسد . . والقاء التبعات من جهاد الروح . . .

— انت لغز . . .

— كل المثاليين الغاز عند الحساد . . مجانين عند الجهال . . .

— فكيف يحل لغزك . . .

— اذا لقح بالالغاز من اعمال المثاليين !

— تدعو الي تأسيس الشركة ؟

— كل ما في الوجود شركات . . .

— اشغلتني بنفسك . . .

— انت شاغل نفسك . . .

— اتريدني مبتدئاً لما جئت من اجله

— حبذا لو كنته . . . فانا لولا ان اكون اخيراً في الخلق ، ما عرفت الاول في الخلق . . .

— قرأتك في رسائلك . . .

— بل قرأت الاديب . . .

— اما كتبت نفسك . . .

— بل كتبت المرآة . . .

— انا مرآتك . . .

— بل انت انا . . . لان كل باعث فكرة في جزء مني . . .

— اقرأ . . .   « يدفع اليه كتاباً »

— ماهـذا . . .   « يأخـذه منه وينظر فيه »

— مآخذ عليك . . .

— في ماذا ؟! . . .

— في رأيك ؟! . . .

— « يقرأ » . . .

انت ناقم على ذويك . . .

ناقم على نفسك

ناقم على صحبك

ناقم على مجتمعك

ناقم على قانونك

ناقم على ادبك

ناقم على جهادك وجهاد المجاهـدين في الحقل الاجتماعي !

انت نقمة على النقمة نفسها . .

انت تريد . . . مالن يكون . . . ولست قانعا

عما هو كائن !...

« يطوي الكتاب ويرده اليه »

— خذ محيطك...

— هذا رأيي...

— بل صورة المحيط !

— انه مرآتك...

— انا لا اخجل من صورتي...

— ولكنك ناقم عليها...

— نقمة الجمال على عابديه... لا نقمة القبح على خالقه...

— فكيف نتقلب...

— في عزيق كتابك...

— فماذا اقدم اليك؟

كتاباً جديداً تقول فيه :

انت مصلح ذويك...

انت مصلح صحبك...

انت مصلح مجتمعك . . .

انت مصلح قانونك . . .

انت مصلح ادبك . . .

انت مصلح جهادك وجهاد المجاهدين في الحقل الاجتماعي . . .

انت اصلاح للاصلاح نفسه

انت تريد . . . ما يجب ان يكون ولست قانعاً عما هو كائن . . .

فخذ عدتك من نقمتك . . . من تبرمك بنفسك . . .

وسر . . . فالهدف ينتظرك . . .

لأنك الأنشودة التى يجب ان تردد امام قافلة الساعين . . . الى الهدف . .

— ان مجرد تقرير الحقيقة لا يكفي . . .

— لم ابخل باثباتها . . .

— انت مضلل من تحصن بالقناعة . .

— ايعنيك ان لا اضلل . . .

— ليس اديباً من لا يهدي

— هل انا الا حامل المشعل . . .

— بل والداعي الى ما قنعت انه نور . .

— اراك تعترف عما كفرت به . . .

— ولكنني لم اجد سبيلاً الى انوارك . .

— لأن ليس في اعماقك نور . . .

— ولكنك نور مغمور بالمخاوف . . .

— بل نور مجرد عن المنافع . . .

— اقول المخاوف . . .

— هل التجرد الا مخاوف . . .

— فكيف بلوغك . . .

— بالعري . . .

— العري ضعف . . .

— وبالايمان . . .

— الايمان اندفاع . . .

— وبالشخصية . . .

— الشخصية تحجر . . .

— وبالكثرة . . .

— الكثرة ؟! . . .

— ما لك أرتج عليك . . .

— لا اعرف ما تستحق ؟ ! . .

— انا اقول لك

— هات . . .

— الكثرة مع الوعي ، والايمان ، والشخصية قوة
تثبت الصالح . . .

— والكثرة مع الضعف ، والاندفاع ، والتحجر ؟

— قوة تؤيد الواقع ! ! . . .

— هذا نضال . . .

— بل ادب . . .

— فأنت اديب . . .

— بل سياسي . . .

— بعثت مناقضاتك الحيرة ! فماذا تريد ؟

— اريد ارجلا لهذه الادمغة . . . واجساداً لهذه الاحلام . . . واسلحة لهذه الآمال

— وكيف السبيل الى ذلك

— الذي يريد نفسه... ينفرد بوحيها ...وينسى شعبه ! والذي يريد شعبه . . . يستوحي منه . . . ولا ينسى نفسه !

— الآن عرفتك . . .

يا من تدعي معرفتي . . . انا الذي عرفتك لا انت . .

يامن اقنعتني بوجودك ولا وجودك . .

عرفتك من بعيد إبرة في وجداني الغافل .

فأيقظته

وابتسمت

إن ابعد العوامل اثراً في روحي تلك الابتسامات التي يجابه بها أهلُ الباطل كلَّ حقيقة . . .

امام هذه الابتسامات يسكت الحق . . .

إنه يعرف اين هو

انه يدرك انه حقيقة !

ولكنه . . .

يدرك ايضاً انه لا يستحق الحياة

لأنه لا يقوى على التسلح باسلحتها

الى ان تعرف انك ظل للحقيقة لا الحقيقة نفسها

سأسكت . . .

واتناساك . . .

واطوي ما بنفسي

ولن انتظرك على نافذة اليوم المطلة على الغد

فأنت ابعد من الغد . . .

بل أنت ابعد مما بعده . . .

بل قد لا تكون حقيقة منتظرة . . .

لأن ليس ما يثبت وجود الحقيقة كتحقيقها . .

ان مجرد الشعور بالهدف والتحدث عن ضرورة بلوغه لا يثبت حقيقة صلاح ذلك الهدف . . .

لقد انشدنا منذ آدم حتى اليوم ما لا يحصى من انغام الطموح . . .

فظلت اناشيدنا اناشيد . . .

ثم تحولت الى مزامير . . . ثم الى . . . فالى . . .

وستتحول . . .

ولكن شيئاً واحداً اذا لم يتحول لن احاول ان اراك

هذا الشيء هو الستار الاسود الذي يبسطه امسك على يومك ، فيحجب عنك منارات غدك . . .

ايها البعيد القريب .

يامن جلت بي كل بقعة من ارض حياتي

لو استطعت ان تقنعني الآن بعدما وقفت بي امام هشيم امسي ان لا غد لي لتحولت الى موكب لا يحمل الا جسدي مائدة للفناء . . . فانا لا أؤمن ان الدقيقة التي تنكمش في كف الدهر تستطيع ان تشعرني بالفناء ، وانما أؤمن أنها تستطيع ان تدق جرساً تنبهني به الى الدقيقة التي ستليها . . .

كما سيتحول ما ذكرتني به الى سطور تأكلها اصابع العامل وراء الآلة ، والى كلمات يخطها اليراع بالنفط على عاطفة الجماهير ، هكذا ستتحول ايامي السالفة الى مشعل يضيء امامي السبيل الى الغد ، ذلك الغد الذي يبكيك ولا يبكيني ، لأنني ابداً لا اشعر انني محط الم أنا مسؤول عن مصدره ، بل ابداً ودائماً اشعر انني محط الم انا مسؤول عن ستره ، ومواراة سوأته . . .

فسر ايها الرفيق المجهول في

الطريق المجهولة

إن شمس الروح في الجسم المظلم ادل
على السعادة الشاملة من الابتسامة
المشرقة على شفاه الناعمين . . .

لنترك الضحايا تتكتل . حتى تعجن منها الأيام
والعصور اكبر طينة لأشمخ الجبال ؛
ثم فلنجلس على القمة حيث ينفجر البركان . . .
فالويل للغد من شظايا الضحايا . . .

والويل لك مني ايها الرفيق . . .
لأنك ضممتني الى البكائين ؛
وجعلت رسائلي اليك دموعاً
دونها كل الدموع . . .

لقد ابغضتك اذ عرفتك ، واحببتك اذ عرفت
بك نفسي . . .
كنت اشك انني احمل النار التي نثرتها في ذاكرتي . . .
لن اطفىء النار ، ولن تطفئها انت . . .

حتى المصلحون الذين قد يحققون ما اطمح اليه لن يطفئوا نار اعماقي ...

ان النار التي احملها لا يطفئها الا المثل الأعلى الذي اشك بوجوده ...

وسأظل اشك بوجوده ما حييت ...

لأنني اراه معجزة المولهين بانواره ، والمؤمنين بقدسيته !! ...

احببتك .. وسأحبك ..

لانك لست الاديب الذي اوحى الي ...

بل القلم الذي كتبت به ذلك الاديب ، ..

فاطفيء سراج الذكريات ...

فان اشقى ساعات العمر ، تلك التي تعيد ما نضده الماضي على مائدة الحاضر التعيس ، دون ان يهيء الطبيب ... الطبيب ...

١٤

إذا انبسط النور . . .

ولم تقو عيناي على تحمله اشعاعه . . .

لا تقولوا عمي عن الحق . . .

فان كثيرين عيونهم في اعماقهم

بل رددوا معي نشيدي الدائم . . .

« من قلب الظلام انبعث النور الخالد . . . »

لتصنعوا الحقيقة . . .

بل لتصنعوا الحق الهضيم . . .

٢٥ / ١٠ / ٩٤٤

« عنوان المؤلف »

حلب : عبدالرحمن ابوقوس ـ مكتب المراسلة والاخبار

تلفون رقم : ١٧ ـ ٠ ـ ٨

★★






ابو هوس ،عبد الرحمن
رسالة الاديب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038803


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت